ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

المجاز إلى معرفة المجاز

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1116 - الجمعة 11 ربيع الثاني 1426 هـ - الموافق 20 ماي 2005

صدق الله العظيم

قبس من أخلاقه صلى الله عليه وسلم

-2-

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث على مكارم الأخلاق ويقول: (أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقا) ويقول: (ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق) ويقول: (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) ومن أدعيته: (اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت).

إن الحديث عن سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجلب حقائق حياته الكريمة لمسامع الجمهور الإسلامي كل ذلك ينير الفكر ويرسم لنا معالم السبيل المستقيم الذي سلكه سيد البشر، فلنعطر جمعنا بذكر خلقه الكريم وكيف كان صلى الله عليه وسلم يعامل أصحابه، إن الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم حباه الله بحسن الخلق ومكارم الأخلاق، وحلاوة العشرة، والفناء في الله، والحب له والبغض له، ولين الجانب فهو الصالح المصلح في أقواله وأفعاله، طبع حياته الكريمة بالجد والتواضع وطيب النفس والعمل من أجل إسعاد البشرية في الدار الدنيوية والأخروية، فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، وأهله للقيام بعبء الرسالة لجميع الناس: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾، فكان المثل الأعلى والقدوة المثلى حتى أن الله امتدحه بقوله تعالى: "وإنك لعلى خلق عظيم" فكان يعامل البشرية بالرفق والأخلاق الفاضلة، ولا يعالج أخطاء المخطئ بالعنف والقسوة، ولكن يقابل هفوته بالنصح الكامل، والصفح عن الذنب واللطف في المعاملة واستعمال الكلام اللائق في علاج الأخطاء.

قال فليح عن هلال بن علي عن أنس: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فحاشا ولا لعانا كان يقول لأحدنا عند المعتبة: (ما له ترب جبينه) أخرجه البخاري.

فلننظر إلى هذه الأخلاق الرحمانية والشمائل المحمدية وما تنطوي عليه من حكمة في كيفية المعاملة اللائقة للإنسانية، كان يقول عليه الصلاة والسلام: (خياركم أحسنكم أخلاقا) متفق عليه.

يقابل المسيء بالعفو، والجاني بالصبر، ويتألف جميع طبقات المجتمع حتى لا ينفر منه فرد كيفما كانت طبيعته، ولا يقابل فضائل الناس التي حباها الله باللقاء به إلا بما يسرها ويجلب محبتها ويزيد في توثيق الروابط معها كيفما كان طبعها.

قال مالك بن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال: (كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه من ردائه جبذا شديدا حتى نظرت إلى صفحة عاتقة قد أثرت بها حاشية البرد ثم قال: (يا محمد مر لي من مال الله عندك) فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم فضحك ثم أمر له بعطاء) متفق عليه.

هكذا مكارم الأخلاق وتمام التربية وكمال النفس والترفع المحمود العاقبة وهضم النفس عما يخل بتمام الفضيلة ورسوخ القدم في أعلى مقامات الكمال.

كان عليه الصلاة والسلام يجل أصحابه جميعا على مختلف طبائعهم ويتواضع لهم برمتهم على تباين تربيتهم واختلاف أذواقهم، لا يرون منه إلا ما يسرهم، يعاملهم بالتي هي أحسن، ويولي لهم كامل العناية، ويتلقاهم بالبشر والترحيب الكاملين.

قال أبو نعيم حدثنا عمران بن زيد أبو يحيى الملائي حدثنا زيد العمى عن أنس: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافحه الرجل لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له).

وقال مبارك بن فضلة عن ثابت عن أنس: (ما رأيت رجلا التقم أذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما رأيت رسول الله أخذ بيد رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده) أخرجه أبو داود.

وكان يساير بأخلاقه الفاضلة كل الذين تمتعوا بلقائه، ويشاركهم فيما يتحدثون فيه من أمور الدنيا والآخرة، وكان كل كلامه هادفا فلا يسكت إلا عن تفكير، ولا ينطق إلا بحكمة (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) فهو حلو العشرة، لذيذ المخاطبة، اجتماعي الطبع.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

نماذج الخلق العظيم من سيرة سيد المرسلين

الكلي والكل والكلية

الإمامة لغة وشرعا

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-22-

مازالت وقفتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يوم عرفة في عرفة، وآذاننا وقولبنا وأفئدتنا مفتوحة تغرق من لسانه صلى الله عليه وسلم ماينطق به ونعمل على أن يكون لتوجيهاته عليه الصلاة والسلام الأثر الكامل في إحياء سلوك جديد وغرس ثقافة جديدة وبث فكر متحرر من الماضي ينطلق من ثوابت إنسانية وقواعد اجتماعية ، لا نفرق بين مسلم وآخر، وتنسخ عادات التحكم القبلي والتمييز العرقي بين القرشي وغيره وبين الخزرجي والأنصاري وبين العربي والفارسي، إن النظام الاجتماعي للحياة العربية الجاهلية لم يبق له مكان في المجتمع الإسلامي، وألغاه رسول الله صلى عليه وسلم بجملة واحدة قال فيها ﴿ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوعٌ أمر نبوي هام جدا وضع به حدا بين حياة دامت ثلاثة وعشرين سنة من عمر الإسلام، وهو يشاهد عادات الجاهلية ونظام حياة من ينتسب إليها تحدث خللا في السلوك وفي العلاقات في كل الميادين التجارية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية والقانونية والسلوكية.

إن الإسلام جاء ليخلق دولة بمفهوم لا تعرفه عرب الجاهلية، وقد أصبح الدين هو الذي يتكلم، والإسلام هو الذي يشرع والرسول صلى الله عليه وسلم يبلغ كل ذلك في مناسبة لم يسبق لها مثيل ولن تتكر بقيادتها في المستقبل الإسلامي، لأنها حجة الوداع، وفي الواجب أن يستمع المسلمون إلى التوجيه الذي يعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشرعون في العمل به ابتداء من نفس الساعة ونفس اليوم - إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع - كل البناء الجاهلي للسلوك والحياة في الأسرة و من الحياة التجارية وفي المعاملات وفي التقاليد وتحكم أسماء القبائل في الرقاب كل ذلك سقط تحت قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن نخوة الصفوة من العرب لم يبق لها مكان وادعاء العظمة المزيفة لاحياة لها بعد اليوم وكرسي الصدارة لن يكون إلا للمتقين يقول الله تعالى : "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" الآية:13 من سورة الحجرات، بهذا ألقيت العادات والتقاليد الجاهلية والأنظمة القبلية المبنية على النسب والحسب والجهة والقبيلة، وجاء الإسلام بنظامه الجديد ليغير الحياة في العالم من الطائفية إلى الكونية، ومن الخصوصية إلى العالمية، الكونية، والعالمية التي يضعها الله عز وجل في دينه، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة ولم يرسل للعرب وحدهم، والدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي يريد الله عز وجل أن تكون له الكلمة للفصل في الأمور ولوضع قواعد البناء الجديد في الحياة الإسلامية، والذين يفهمون الدين ويعرفون أصوله وجذوره هم الذين يضعون القواعد الموافقة لأمر الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فكل شيء من أمر الجاهلية ومناهج الجاهلية وتقاليد الجاهلية في الماضي والحاضر وفي المستقبل موضوعة ولا موقع لها في نظام وحياة المسلمين إن الدين عند الله الإسلام والإسلام هو ما جاء في القرآن وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أثبت العلماء أنه غير معارض له ولا ينافي أصلا من أصوله أو قاعدة محكمة من قواعده.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

زوج الحافظ المزي

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ هذه السيدة عالمة فاضلة، ترجم لها علماء الحديث في التعريف برواته وأهله، ومن حظها أنها رزقت زوجا من أشهر المحدثين في عصره، وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزي، . بكسر الميم . قال عنها ابن حجر في الدرر الكامنة: السيدة عائشة بنت إبراهيم بن صديق، زوج الحافظ المزي، ولدت سنة761هـ وسمعت من أبي الفضل ابن عساكر (×) وغيره من علماء دمشق، وحدثت بما سمعته من شيوخها، وكانت تحفظ القرآن حفظا جيدا وتلقنه للنساء....

ويستفاد من ترجمتها أنها من أسرة علمية تجمع بين القرآن وعلومه، والحديث وعلومه ورواته، واللغة، والأدب والتاريخ إلى التضلع في علم الحديث: رواية ودراية، قال عنها ابن حجر كانت عديمة النظير في زمنها، وبين نساء عصرها، لكثرة عبادتها وتلاوتها، وإقرائها القرآن العظيم بفصاحة وبلاغة، وأداء صحيح، يعجز كثير من الرجال عن مجاراتها في ذلك، وقرأ عليها من النساء خلق، وانتفعن بها، وبصلاحها، وعاشت ثمانين سنة، أنفقتها في طاعة الله، من صلاة، وتلاوة، وكان زوجها محسنا إليها، مطيعا، لا يكاد يخالفها، لحبه لها طبعا، وشرعا، فرحمها الله وقدس روحها، ونور مضجعها...

وقال عنها صهرها، وتلميذ زوجها: الحافظ ابن كثير، صاحب التفسير، والبداية والنهاية، وغيرهما من الكتب القيمة، قال عنها وهو أعرف الناس بها، لأنه زوج ابنتها فاطمة يقول : إنها كانت مثالية في تدريسها، وحسن تجويدها للقرآن الكريم، وتفضل في ذلك على كثير من الرجال، وتخرج عليها عدة من الحافظات لكتاب الله المجيد، وانتفعن بها...

ويقول: كانت عابدة زاهدة في الدنيا..." وذكرها ابن كثير وهو يتحدث عن المتوفين سنة:741 هـ في كتابه: البداية والنهاية، قال: "توفيت الشيخة العابدة الصالحة، قارئة القرآن، أم فاطمة، عائشة بنت إبراهيم ابن صديق، زوجها شيخنا الحافظ جمال الدين المزي عشية يوم الثلاثاء، مستهل هذا الشهر . جمادى الأولى من سنته:741هـ . وصلى عليها بالجامع . الجامع الأموي بدمشق . صبيحة يوم الأربعاء، ودفنت بمقابر الصوفية، غربي قبر الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمهم الله، كانت عديمة النظير في نساء زمانها..."

فابن كثير جعلها ضمن الشخصيات البارزة التي توفيت سنة741هـ، وذكر بعض ماعرفت به في حياتها، من حسن تجويدها للقرآن الكريم، وتدريسه...

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن هذه العالمة الجليلة التي اعتنت بحفظ القرآن، وتدريسه، وتلقينه... يجدر بنا أن نتحدث عن زوجها الحافظ المزي، وهو حافظ جليل من كبار حفاظ الحديث النبوي الشريف اعتنى العلماء بترجمته، وفي طليعتهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، قال عنه: المزي أبو الحجاج جمال الدين الحافظ، ولد سنة 654هـ طلب العلم بنفسه في أول سنة675هـ، فأكثر عن أحمد بن أبي الخير، والمسلم بن علان، والفخر ابن البخاري، ونحوهم... وسمع الكتب الطوال، كالستة والمسند والمعجم الكبير وتاريخ الخطيب، والنسب للزبير، والسنن الكبير، والمستخرج على مسلم، والحلية، والدلائل، ومن الأجزاء ألوفا، ومشيخته نحو ألف شيخ، وأخذ عن الشيخ محيي الدين النووي وغيره، وسمع بالشام والحرمين، ومصر، وحلب، والاسكندرية وغيرها، وأتقن اللغة والتصريف، وكان كثير الحياء والتواضع...وقال عنه الشيخ عبد الحي الكتاني بفهرس الفهارس: "حافظ الدنيا، ومسندها" وقال عنه السيوطي: لم تر العيون مثله، أوضح مشكلات ومعضلات، ماسبق إليها، من علم الحديث ورجاله.

وقال ابن حجر وهو يتحدث عنه: قال الذهبي: "مارأيت أحدا في هذا الشأن أحفظ منه".

وقال ابن حجر في ترجمته: صنف تهذيب الكمال، فاشتهر في زمانه، وحدث به خمس مرات، وحدث بكثير من مسموعاته الكبار والصغار، عاليا، ونازلا، وغالب المحدثين من دمشق وغيرها قد تتلمذوا له، واستفادوا منه، وسألوه عن المعضلات، فاعترفوا بفضيلته، وعلو ذكره، وبالغ أبو حيان في تقريظه والثناء عليه، وكذلك ابن سيد الناس، الذي قال عنه: ووجدت بدمشق من أهل العلم: الإمام المقدم، والحافظ الذي فاق من تأخر من أقرانه ومن تقدم، أبا الحجاج بحر هذا العلم الزاخر، وحبره القائل: كم ترك الأول للآخر، أحفظ الناس للتراجم، وأعلمهم بالرواة من أعارب وأعاجم... إلى أن يقول: معرضا عن الدنيا وأسبابها، مقبلا على طريقته التي أربى بها على أربابها..."

قال ابن حجر: وكانت رؤية ابن سيد الناس له بعد تسعين . أي : وسبعمائة .

فزوج مترجمتنا العالمة السيدة عائشة، الحافظ المزي، يعد عند المحدثين والحفاظ، من كبار علماء الدنيا في الحديث النبوي الشريف، ولو تتبعنا ما قاله عنه مترجموه من علماء الحديث من الدارسين عليه وغيرهم، لاحتاج ذلك إلى صفحات عديدة، لكن نكتفي بهذه الإشارات الدالة على أن مترجمتنا عاشت في أجواء القرآن العظيم، والحديث النبوي المشرف، وآثرت لذة العلم والمعرفة، على متع الدنيا ولذائذها الفانية، ولذلك تذكر فتشكر، رحمها الله تعالى، وأسكنها الفردوس الأعلى، وفي جنة النعيم.

(×) ابن عساكر عبد الصمد بن عبد الوهاب الدمشقي، له تصانيف مفيدة منها: فضائل أم المؤمنين خديجة، وأحاديث عيد الفطر، جاور بمكة، وتوفي بالمدينة سنة 786هـ.

(تتمة ص1)

إن عرب الجاهلية وقريشها بصفة خاصة كانت تعيش في محيط يوجد في قلبه البيت الحرام والكعبة المشرفة، ومكانتها كانت سامية في النفوس، وتعظيمها وتقديسها كان يفرض نفسه على الجميع، ولو اختلط أحيانا بتقاليد جاهلية، وارتبط بعادات وثنية، إلا أن المحافظة على البيت الحرام والكعبة المشرفة ظلت في صميم التوجه العام للقبائل العربية قبل الإسلام، وأنشئ من أجل ذلك نظام السدانة والسقاية ، فالسدانة وهي خدمة الكعبة بتولي أمرها وفتح أبوابها للزيارة وتنظيم مابداخلها للمحافظة عليه، وقد سلمت في الجاهلية لبني عبد الدار، لقدرتهم على خدمتها والحفاظ عليها، وذكر ابن سعد في الطبقات عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فاغلظت عليه يقول الراوي، أي واجهته بشدة ونلت منه، فحلم عني، وقال لي: ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث أشاء فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل عمرت وعزت يومئذ، ودخل الكعبة يقول الراوي، ووقعت كلمته مني موقفا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال، وهو يعلم أنه يتصرف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك قبل فتح مكة وقبل الهجرة، يقول عثمان بن طلحة، فلما كان يوم الفتح نادى علي، وقال ياعثمان ائتني بالمفتاح يذكره بموقفه السابق، فجاء به عثمان وسلمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينتظر ماذا سيفعل صلى الله عليه وسلم به، فإذا به يرده إليه لتستمر خدمة الكعبة بيد بني عبد الدار ومفتاحها عند عثمان بن طلحة، وقال صلى الله عليه وسلم "خذوها خالدة تالدة لاينتزعها منكم إلا ظالم، ياعثمان إن الله استأمنك على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف،، قال فلما وليت، ناداني فرجعت إليه فقال: ألم يكن الذي قلت لك؟ قال عثمان فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت، فقلت بلى أشهد أنك رسول الله، وكان العباس ابن عبد المطلب يريد أن يؤول المفتاح إلى بيته، وأشار سيدنا علي بن أبي طالب إلى ذلك عندما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح، هذه قصة السدانة وهي مذكورة بتفصيل في كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية الجزء الثاني صفحة 165 .

أما السقاية، فهي سعي الحجيج بالماء من بئر زمزم، وكانت مهمة العباس بن عبد المطلب في الجاهلية فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك تخصيص لعائلة معينة لخدمة مخصوصة يكون بها مردود غير محدود على من يقوم بالمهمة، ولعلها تكون دخلا ثابتا للأسرة.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعاد على الناس ماأقره من أمور كانت موجودة عند الجاهلية وهي السدانة والسقاية، حتى يخرج الأمرين من عموم قوله: "إن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي"، وإذا كانت السقاية أضحت اليوم رهن إشارة الجميع لمن يريد بدون حاجز ولا مقابل، فإن خدمة الكعبة ومفاتيحها مازالت لحد اليوم في يد الأسرة التي خصها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، المنحدرة من عقب عثمان بن طلحة، تحقيقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم".

ولما كان للجاهلية نظام جنائي غيرعادل خص رسول الله صلى الله عليه وسلم جريمة القتل بعقوبة محددة، وإذا كان القرآن ينص على القصاص في القتل العمد، والدية في القتل الخطأ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت ذلك وبين حدوده فقال في نفس الفقرة التاسعة من الخطاب الوصية "والعمد قود، و شبه العمد ما قتل بالعصى والحجر وفيه مائة بعير" القتل العمد ما كان فيه قصد من الجاني على حصول النتيجة، وعقوبة القصاص فيه واضحة (العمد قود)، وبما أن القصد أمر مرتبط بالتفكير أولا، وبأداة القتل ثانيا، فهنا تدخل الصعوبة القضائية للتمييز بين ما فيه القصاص وما فيه التعويض بمائة بعير، والأمر يعود إلى أهل الاختصاص لمعرفة الحقيقة، والرسول صلى الله عليه وسلم وضع القاعدة: العمد فيه القود، وشبه العمد فيه التعويض وما زاد على ذلك فهو من أمر الجاهلية موضوع. وإلى عدد قادم إن شاء الله.

الوثاق

الكلي والكل والكلية

سيدي محمد بن عبد الله الهبطي

يقول عبد الله خديم أوليائه سيدي محمد بن عبد الله الهبطي، سمح الله له يوم لقائه ونفعنا به وبمحبته،
محيبا لمن سأله عن الكلي والكل والكلية والجزئي والجزء والجزئية، وما يتعلق بمعنى الكلية الشريفة منها، ونصه:

إعداد وتقديم الأستاذ : إدريس كرم

الحلقة الاولى

■ اعلم أيدك الله بنور التوفيق وشرح صدرك بسر اليقين والتحقيق ان كلمة لا إله إلا الله محتوية على نفي وإثبات، فالمنفي كل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا جل وعز، والمثبت من تلك الحقيقة فرد واحد وهو مولانا جل وعز، ولابد من بيان معنى الكلي والجزئي لاشتمال كلمة التوحيد عليها، فالكلي: هو الذي لا يمنعه تصوره من وقوع الشركة فيه وضعا، فالإله وضع على المعبود بحق ولاشك أن هذا المفهوم كلي يصدق على كل فرد من أفراد حقيقة الإله وهو المعبود بالحق إلا أنه لا يمكن عقلا ولا شرعا وجود أفراد هذه الحقيقة غير مولانا جل وعلا.

ولا يجوز أن يطلق الإله على غير مولانا جل وعز حقيقة ولا مجازا، لأن الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع له والإله إنما وضع للمعبود بحق، وأما المجاز فهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة بينهما ولا شيء مما سوى الله بينه وبين الإله علاقة، فلم يبق إلا أن يكون استعمال الإله غير مولانا غلطا وهو استعمال اللفظ في ما وضع له لغير علاقة، والغلط في أصل الدين كفر بإجماع.

وأما ما ورد في الكتاب والسنة من إطلاق الإله على غير الله تعالى فمحمول على ما يقتضيه المقام من حكاية أو زعم أو تهكم أو إلزام، وبهذا يظهر بطلان القول بدخول المعبودات الباطلة كالأصنام وغيرها في نفي لا إله إلا الله لأنها ليست بآلهة بل هي عباد، قال جل وعلا: "إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم" وقال جل وعز: "لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون".

وأما الجزئي فهو الذي يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه ولا يقبل التعدد وضعا، فاسم الجلالة ليس بمعنى الإله فيكون كليا، وإنما هو علم على ذات مولانا جل وعز، الخالق لكل شيء وباعتبار الوضع كان جزئيا لا يقبل معناه التعدد هنا ولا خارجا وبهذا يثبت التوحيد المراد من كلمة لا إله إلا الله فلو كان الله اسما لمفهوم المعبود بالحق لكان بمعنى إلا الله فيلزم استثناء الشيء من نفسه والتناقض في الكلام بإثبات الشيء ثم نفيه وذلك باطل يتنزه عنه هذا التركيب الشريف، ولو كان أيضا لا إله علما للفرد الموجود منه كاسم الجلالة فيكون جزئيا للزم أن تعمل لا في المعرفة وهو باطل مع ما في ذلك من الخروج عن الكلام العربي الذي لا معنى له، وفيه أيضا ما تقدم من اللزوم في اسم الجلالة لو كان كليا بمعنى إلا الله ولا يصح أيضا أن يكون الإله علما على الفرد الموجود منه فيكون جزئيا، واسم الجلالة بمعنى المعبود بالحق فيكون كليا، وفيه ما تقدم من اللزوم وهو عمل لا في المعرفة مع ما فيه أيضا من عدم إفادته التوحيد فلم يبق إلا أن يكون الإله كليا، فمعنى المعبود بالحق لا بمعنى مطلق المعبود لما يلزم عليه من الكذب لكثرة المعبودات الباطلة ووجودها دنيا وأخرى، وإسم الجلالة علما على الفرد الموجود من الإله فيكون جزئيا، واعلم أن الكلي ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وكل قسم ينقسم إلى قسمين فصار مجموع الأقسام ستة ، القسم الأول: كلي لم يوجد من أفراده فرد واحد، وينقسم إلى ما يستحيل وجوده كشريك الإله وفي معناه من المثل والند قوله تعالى: "فلا تجعلوا لله أندادا" نهى عن جعل الأصنام أندادا والند هو المثل المنازع.

والكفار وإن لم يقولوا في الأصنام أنها تنازع الله لكنهم لما عبدوها كعبادة الله أشبهوا من يعتقد فيه ذلك، أو هو على سبيل التهكم هكذا قرره الإمام ابن عبد السلام التونسي في مختصره لتفسير ابن الخطيب فتأمله يظهر لك ما قيل من التأويل ما ورد من إطلاق الإله على غير الله تعالى كتابا وسنة بما يقتضيه المقام من حكاية أو زعم أو تهكم أو إلزام فحققه والضد والزوجة والولد والكفؤ والشبيه وغير ذلك مما هو مستحيل وجوده وإلى ما يمكن وجوده كجبل من ياقوت وبحر من زهرد.

❖❖❖❖

القسم الثاني: كلي وجد من أفراده فرد واحد وينقسم إلى ما يستحيل فيه التعدد كالإله والخالق والرازق والمحيي والمميت ونحوها مما هو مختص بالله تعالى وحده، وإلى ما يمكن فيه التعدد كالشمس،

❖❖❖❖

القسم الثالث: كلي وجد من أفراده أفراد كثيرة وينقسم إلى ما تناهى كأفراد الإنسان وأفراد الحيوان وإلى غير متناهي كأفراد أنفاس أهل الجنة.

❖❖❖❖

فائدة في الفرق بين الكلي والكل والكلية والجزئي والجزء والجزئية

أما الكلي: فهو الذي يقبل بحسب مجرد إدراك ما معناه أن يصدق على كثيرين وينقسم إلى ستة أقسام: وهي المذكورة قبل، ونظيره في اللغة النكرة كل اسم شائع في افراد جنسه لا يختص به واحد دون آخر بحسب الوضع لا بحسب الخارج ليشمل الأقسام المذكورة وهو المعبر عنه بالمطلق أيضا.

وأما الكل فهو الحكم على المجموع من حيث هو مجموع كقوله تعالى: "لا تدركه الأبصار" إن كان المراد بالادراك الرؤية الإبصارية في الدار الآخرة فقد وقع الحكم في هذه الآية الكريمة فنفى الرؤية عن مجموع الإبصار لا عن كل فرد فيوخذ من الآية بالمفهوم، نفي الرؤية عن إبصار الكفار لقوله تعالى: "كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " وإثبات الرؤية لأبصار المومنين لقوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" وعلى هذا السلب في الآية من باب سلب العموم لا من باب عموم السلب.

وأما الكلية فهو الحكم على كل فرد من أفراد الحقيقة بحيث لا يبقى فرد واحد إلا وشمله ذلك الحكم وقد يصلح التمثيل أيضا بالآية المذكورة للكلية إن كان المراد بالإدراك الإحاطة لا عين الرؤية، لأن الإحاطة منفية عن كل فرد من أفراد الإبصار لأن الحق تعالى في الجنة يرى بالأبصار من غير إحاطة ولو أن الله تعالى يتنزل في رؤيته في الآخرة للأنام كما تنزل لهم في سماع كلامه في الدنيا إلى الافهام لما استطاعوا أن يروه فكيف يحيطون به بالأبصار وقد عجزوا عن الإحاطة به علما، قال جل قوله: "ولا يحيطون به علما" أي لا يحيطون بمعرفة ذاته العلية إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله دنيا وأخرى، لما سمع بعض العارفين قول القائل.

أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها أين تنزل قال لا والله ما في الدارين عنها من مخبر يعني عن ذوات مولانا العلية جل وعلا، ولهذا هذا قال العارف الأكبر عليه السلام اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، قال بعضهم لأن الثناء تابع للمعرفة فلو عرفه لأحصى الثناء عليه، فإذا كان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقول هذا مع قوله عليه الصلاة والسلام أنا أعرفكم بالله فما بقي لغيره يقول، ونظير الكلية في اللغة العموم وهو شمول الحكم لكل فرد من أفراد الحقيقة كالنكرة المنفية المبنية ولهذا قولنا: "لا إله إلا الله" يفيد عموم السلب لا سلب العموم، وإلا لما أفاد التوحيد، كيف وهو يفيد التوحيد قطعا وبيانه ان الله نكرة منفية بلا مبنية معها لتضمنها معنى من، إذ التقدير لا من إله وهو جواب عن سؤال مقدر وهو هل من إله موجود غير الله؟ فيقع الجواب بما يطابق السؤال وهو: لا من إله موجود غير الله.

❖❖❖❖

فحرفت من وقيل لا إله بالبناء لتكون نصا في عموم النفي كان المتكلم نفى كل إله غيره جل وعز من مبدإ ما إلى ما لا نهاية له مما يقدر، وفائدة التقدير العلم بوجود المقدر ليصح نفيه إذ لا يمكن العلم بالمنفي أي المعدوم إلا بعد تقدير وجوده، فأما إحالة العلم على غير موجود محقق أو مقدر فذلك مما لا يتكلم به بشر، فظهر من هذا أن النفي في كلمة لا إله إلا الله لابد من أربعة شروط،

❖❖❖❖

الأول: أن يكون كليا لا جزئيا.

الثاني: أن يكون بمعنى المعبود بالحق لا بمعنى مطلق المعبود.

الثالث: أن يكون عاما في كل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا لا خاصا ببعض الأفراد فلا يفيد التوحيد حينئذ لأنه لا يصح التوحيد إلا بنفي كل إله غيره تعالى.

الرابع: أن يكون مقدرا إلى ما لا نهاية له.

وأما المثبت في كلمة التوحيد فلابد له من شرطه واحد وهو أن يكون الإسم المعظم علما للفرد الموجود من الاله.

❖❖❖❖

واعلم أن المثبت في كلمة التوحيد يجب أن يتقدم على المنفي فيها معنى وإن كان العكس ليندفع لفظا التناقض، بمعنى لا إله إلا الله على هذا كل معبود بالحق إلا الله ليس في الوجود، فهذا التفسير أجمع وأشمل وهو المختار عند المحققين فقولنا كل معبود بالحق أفادنا العموم نصا في نفي كل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا، وتقييد المعبود بالحق أفادنا أن المراد بالإله في كلمة التوحيد المماثل له في ذاته وصفاته لأن أفراد الحقيقة متماثلة متساوية في جميع صفات النفس، وإن شئت قلت هي متساوية في جميع ما يجب وما يستحيل ويجوز، فإفراد حقيقة الإله غير مولانا لا فرق بينها وبين إله إلا الله فالنفي والإثبات لاتحاد الحقيقة فإنها منفية والله مثبت.

وقولنا في تفسير الكلمة المشرفة إلا الله بتقديم الإثبات على النفي أفادنا دفع التناقض الوارد على الاستثناء وذلك أن قولنا: "لا إله" شامل للفرد الموجود منه وهو مولانا جل وعلا فيقتضي ظاهر اللفظ دخوله في النفي، وقولنا "إلا الله" إثبات له بعد نفيه، وهذا هو عين التناقض المحظور الذي يجب دفعه بتقديم الإثبات على النفي، وأما ما توهمه بعض القاصرين الذين لم يطلعوا على سر هذا الترتيب الشريف، العاجزين عن دفع التناقض من أن أول هذه الكلمة المشرفة كفر وآخرها إيمان فليس بشيء، لأن هذا التركيب الشريف ينزه عن ذلك لأنه في أعلا درجات الفصاحة ونهاية البلاغة مع إثبات الأفضلية له بشهادة أفصح العرب عليه السلام.

قال من لا ينطق عن الهوى: "أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله" وأيضا فقد ذكر العلماء لرفع التناقض الوارد على الاستثناء وجوها منها.

أن إسناد الحكم بالنفي لكل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا لا يصح إلا بعد تمام الكلام، ولا يتم الكلام إلا بما يحسن السكوت عليه، ولا يحسن السكوت إلا بعد ذكر الاستثناء وهذا أقرب الوجوه وأبينه وأوضحها، فتبين من هذا أن الإثبات مقدم على النفي في المعنى فتحققه فإنه من نفيس المباحث المتعلق بهذا التركيب الشريف.

وقولنا في تفسير الكلمة المشرفة ليس في الوجود، أفادنا نفي وجود كل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا جل وعلا، ومن انتفى وجوده فهو معدوم إذ لا واسطة بين الوجود والمعدوم هنا، وهذا المعدوم هو مستحيل الوجود، لا جائز الوجود وهذا قول معنى العلماء في تفسير الكلمة المشرفة: نفي ما يستحيل وجوده وإثبات ما يستحيل معدومه، فالذي يستحيل وجوده هو الشريك، والذي يستحيل عدمه هو الله.

(يتبع)

في ظلال الحديث

الحديث الثاني والثلاثون والمائة:النهي عن الغش (2/2)

نص الحديث:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال :« من غش فليس منا" رواه الترمذي»

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

خصصنا الحديث في الحلقة الماضية للغش في الامتحانات، وبينا . بفضل الله تعالى . أسبابه، وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع والدولة، وختمنا بتصور نراه صالحا لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة، التي لا تضر الفرد الذي يمارس الغش وحده، بل تتعداه إلى المجتمع والدولة والأمة، حيث تعطل أدوات الإنتاج الحضاري، فالأمة التي تتفشى فيها مثل هذه الأمراض، على وجه تصير به مألوفة لاتبغض، عادية لايمجها ويبغضها إلا ذو عقل لبيب وقلب سليم، فإن هذه الأمة تسير إلى فناء وزوال مادي وأدبي، حيث تصبح عديمة الإنتاج، ولا قيمة لها بين الأمم حتى ولو أنتجت، لأنها قد عرفت بما اشتهرت به وهو الغش والخداع والتضليل...

٭٭٭٭٭

وإن كنا قد خصصنا الحلقة السابقة للحديث عن ظاهرة الغش في الامتحانات، فإن هذه الظاهرة المرضية، كما هو معلوم تطال ميادين وقطاعات أخرى، هذه بعضها على سبيل الذكر والتنبيه...

٭٭٭٭٭

أولا: الغش في البيع والشراء

وما أكثره في زماننا في أسواق المسلمين!! ويكون الغش فيهما بمحاولة إخفاء العيب، ويكون بطرق أخرى كالغش في ذاتية البضاعة أو عناصرها أو كميتها، أو وزنها أو صفاتها الجوهرية أو مصدرها...

٭٭٭٭٭

فمن الغش في بيع الفواكه والخضر، حيث تجد من لاضمير له يضع أفضلها في الواجهة ليضلل المشتري، وإذا وزن فإنه يزن التي تحتها مكانا وجودة...إلى الغش في الأثمان وجودة السلع، حيث يباع نوع مكان آخر، فيكون الغش مضاعفا، غش ذات السلعة، وغش بعدم ذكر حقيقة السلعة للمشتري...

٭٭٭٭٭

وقد يكون الغش في الميزان والمكيال والمقاييس... وإن من أخطر الغش في البيع والشراء، هو الغش في الحسابات والفواتير، سواء كان بحجة التهرب من أداء الضرائب الحقيقية، أم تغيير الثمن الحقيقي بغرض مضاعفة الربح...

٭٭٭٭٭

وإن المقام لايسمح بذكر جميع مظاهر هذه الآفة الخطيرة على مستوى البيع والشراء، وأدع ذلك المجال للقارئ الكريم ليضيف ماخطر في ذهنه من صور الغش في البيع والشراء. وأعيذك بالله إن كنت بائعا أو مشتريا من الغش والاتصاف بشيء مما سبق.

ثانيا: الغش في الزواج

إن الأسرة هي أعظم مؤسسة في المجتمع، فإذا تسرب إليها الغش، فإن المجتمع يصاب بالضربة القاضية في صميمه وجوهره وأساسه... ومن مظاهر الغش فيه مايلي:

٭٭٭٭٭

1. أن يقدم بعض الآباء للمتقدم لإحدى بناته ابنته الصغيرة البكر، وليلة العرس يجدها الكبيرة الثيب، بحجة تزويج الكبيرة أولا، فيجد العريس لا مناص ولا هروب من هذا الزواج، لكن لنتصور كيف ستكون الحياة الزوجية بينهما؟...

٭٭٭٭٭

2. وبعض الآباء والأولياء يري الخاطب البنت الجميلة، وليلة العرس يرى أنها الدميمة القبيحة فيضطر للقبول، إن قبل.

٭٭٭٭٭

3 وبعض الآباء قد يخفي مرضا مزمنا أو عيبا عضويا أو فكريا أو نفسيا... في ابنته ولا يبينه للخاطب ليكون على بينة، فإذا دخل بها اكتشف ما بها من مرض أو عيب.

٭٭٭٭٭

4. وبعض الآباء والأولياء إذا طلب منهم الخاطب رؤية المخطوبة أذنوا في ذلك بعد أن تملأ وجهها بكل الألوان والأصباغ التي تسمى "مكياجا" لتبدو جميلة في عينيه، ولو نظر إليها دون هذا القناع من المساحيق لما وقعت في عينيه موقع الرضا.

٭٭٭٭٭

أليس هذا غشا يترتب عليه مفاسد عظيمة في حق الزوج والزوجة؟

٭٭٭٭٭

5. وبعض الأولياء يعمد إلى تزويج موليته دون بذل جهد في معرفة حال الخاطب وتمسكه بدينه وخلقه.. وفي هذا غش للزوجة وظلم لها.

٭٭٭٭٭

6. ومن الغش في الزواج أن يعمد الخاطب إلى التشبع بما لم يعط، فيظهر أنه صاحب جاه وأنه يملك من العقارات والسيارات الشيء الكثير. بل ويسعى إلى استئجار سيارة فارهة تكلف الآلاف من الدراهم ليظهر بأنه يملك، وهو لايملك في الحقيقة شيئا.

٭٭٭٭٭

7. ومن الغش كذلك أن يعمد بعض الناس إلى تزكية الخاطب عند من تقدم لهم، ومدحه والإطراء عليه وأنه من المصلين الصالحين، مع أن هذا الخاطب لايعرف للمسجد طريقا!!

٭٭٭٭٭

إلى غير ذلك من مظاهر الغش التي تمارس نتيجة ضعف الوازع الديني، حين تأسيس مؤسسة الزواج... والعياذ بالله.

ثالثا: الغش في النصيحة:

وذلك بعدم الإخلاص فيها، والقصد من بذلها أغراضا دنيوية وأغراضا دينية، ومن حق الأخوة بين المؤمنين أن يتفانى الأخ في نصح أخيه ويمحص له ذلك، فالمؤمنون نصحة والمنافقون غششة.

٭٭٭٭٭

والمؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيه عيبا أصلحه. والنصيحة تكون بكف الأذى عن المسلمين، وتعليمهم مايجهلونه من دينهم، وإعانتهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلافهم، ودفع المضار عنهم بجلب النافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وأن يحب لهم مايحب لنفسه من الخير، ويكره لهم مايكرهه لنفسه من المكروه.

٭٭٭٭٭

روى الحافظ أبو القاسم الطبراني بإسناده أن جرير بن عبد الله البجلي أمر مولاه أن يشتري فرسا، فاشترى له فرسا بثلاثمائة درهم، وجاء به لصاحبه لينقده الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس . وانظر إلى النصيحة . فرسك خير من ثلاثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة درهم؟قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله. فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة. وصاحبه يرضى وجرير يقول: فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة فاشتراه بها. فقيل له في ذلك فقال: إني قد بايعت رسول الله على النصح لكل مسلم.

رابعا: الغش في الرعية:

عن معقل بن يسار المزني أنه قال في مرضه الذي مات فيه: سمعت رسول الله (ﷺ)يقول: "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة(رواه البخاري ومسلم واللفظ له) واحد لفظي البخاري: "ما من مسلم يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة".

٭٭٭٭٭

فهذا وعيد شديد يدخل فيه كل من استرعاه الله رعية سواء كانت صغيرة أم كبيرة، ابتداء من أفراد الأسرة إلى الحاكم، فيجب على الكل النصح لرعيته وعدم غشهم.

٭٭٭٭٭

فالموظف يجب عليه أن ينصح في وظيفته وأن يؤديها على الوجه المطلوب شرعا دون غش ولا خداع، ودون تأخير لأعمال الناس ومصالحهم، وليعلم أنه موقوف بين يدي الله عز وجل. فما ولاه الله عز وجل هذه الوظيفة إلا ليديم النصح للمسلمين.

٭٭٭٭٭

وكذلك الأب يجب عليه أن ينصح لأولاده، وألا يفرط في تربيتهم بل يبذل كل مايستطيع ليقي نفسه وأولاده من نار وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد.

٭٭٭٭٭

قال ابن القيم رحمه الله: (وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه، وإعانته على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده وفوت عليه حظه من الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء) "تحفة المودود:ص146".

وأخيرا: مضار الغش

إن مضار الغش كثيرة ومتعددة، منها ما هو دنيوي آني، ومنها ماهو أخروي ولعل أخطره هو النار نسأل الله عز وجل أن يعيذنا من عذاب النار. ومن مضار الغش نذكر مايلي:

٭٭٭٭٭

1. الغش طريق موصل إلى النار

٭٭٭٭٭

2 دليل على دناءة النفس وخبثها، فلا يفعله إلا كل دنيء هانت عليه فأوردها مورد الهلاك والعطب.

٭٭٭٭٭

3. البعد عن الله وعن الناس.

٭٭٭٭٭

4. أنه طريق لحرمان إجابة الدعاء.

٭٭٭٭٭

5. أنه طريق لحرمان البركة في المال والعمر.

٭٭٭٭٭

6. أنه دليل على نقص الإيمان.

٭٭٭٭٭

7. أنه سبب في تسلط الظلمةوالكفار، قال ابن حجر الهيثمي: (ولهذه القبائح . أي الغش . التي ارتكبها التجار والمتسببون وأرباب الحرف والبضائع سلط الله عليهم الظلمة فأخذوا أموالهم، وهتكوا حريمهم، بل وسلط عليهم الكفار فأسروهم واستعبدوهم، وأذاقوهم العذاب والهوان ألوانا).

٭٭٭٭٭

وكثرة تسلط الكفار الظلمة على المسلمين بالأسر والنهب، واستباحة الأعراض والأوطان، وأخذ الأموال وقتل النساء والرجال والأطفال، إنما حدث في هذه الأزمنة المتأخرة لما أحدث التجار وغيرهم قبائح ذلك الغش الكثيرة والمتنوعة، وعظائم تلك الجنايات والمخادعات والتحايلات الباطلة، على أخذ أموال الناس بأي طريق قدروا عليها، لايراقبون الله المطلع عليهم)أهـ.

حديث المنابر

من عمق الظلمة يسطع النور

إعداد الأستاذ: مصطفى الموهري

الخطبة الأولى

■ عباد الله، لقد مرت بالمسلمين أيام عصيبة منذ فجر الإسلام، بل منذ عهد سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام، وكلما نزلت بالمسلمين فتنة عظيمة في دينهم رأيت بعضهم يخلع دينه وينحاز إلى حزب الكفار علانية وبعضهم يرتدي لباس النفاق، وبعضهم يقاوم ولايستسلم حتى يموت شهيدا، وبعضهم يتخلى عن داره وأهله وأرضه وماله ويهاجر بدينه، وبعضهم يخفي إيمانه ويتستر بإسلامه ويبقى مسلما سرا كافرا ظاهرا، ينتظر أن ترتفع الفتنة وتنكشف الغمة، فهذه خمسة أحوال يتقلب فيها المفتونون في دينهم على يد الطغاة الدجالين والجبابرة الظالمين. والمسلمون في هذه الأيام يعيشون زمانا تتحقق فيه أحلام الكفار ومتمنياتهم. وتضيع فيه صفات المسلمين وحقائقهم بل متمنياتهم وأحلامهم.

وإن زماننا هذا لهو زمان زهو الكفار وانتفاشهم إنه زمان أمر الكفار ونهيهم، زمان سوقهم المسلمين كسوق الراعي لماشيته، إنه زمان نشوة الكفار، إنه يوم زينتهم وسحرهم، في غياب موسى عليه الصلاة والسلام، إنه زمان غيبوبة المسلمين وتجمد مشاعرهم وتبلد أحاسيسهم وخوفهم واستسلامهم. إنه زمان جهل المسلمين وسفههم وخطئهم في حساباتهم.

إن حال المسلمين اليوم مع القرآن والسنة كحال الذي قال فيه الله سبحانه: "كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) فيزداد ظمأ وعطشا والماء أمامه. فهذا الوحي الذي أحيا به الله الموتى وهدى به الضالين وأفاق به الغافلين وأعز به المغلوبين ونصر به المضطهدين، ها هو هذا الوحي بين أيدينا وتحت أكفنا وحالنا يرثى له بعض الأعداء، إنه زمن يعذر من يموت فيه من الأحرار أسفا وهما وحسرة.

عباد الله، لقد أخبرنا الله عز وجل أن في مثل هذه الحقب الكالحة يمكن أن يسطع في الآفاق نور الإحياء والأمل والرجاء فتنحسر الظلمة عن بعض الزوايا وتنكشف الغمة عن بعض الأمة قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا".

في مثل هذه الأحوال يبعث الله من جنده في الأرض والسماء من ينفس عن عباده المخلصين، في زمن الصمم والبكم وإطراق الرؤوس يمكن أن ترتفع رؤوس تعشق الشهادة وتبادر إلى مرتبة الأسوة والقدوة فتتأثر بعض الرؤوس الأخرى بمشهد العز، وتغار من تسابق الملائكة لحضور المشهد وتدوينه سواء كان فوزا وانتصارا، أو كان موتا واستشهادا، قال تعالى "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا".

في زمن السكوت والهمس والفزع والرعب وخفقان القلوب وتقلس الأعضاء تحدث الخوارق والعجائب من حيث لايدري المغرور المزهو، ومن حيث لايحتسب المتجبر المنتشي، قال تعالى : (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب".

في زمن النكد واشتداد البأس وتجهم الليالي ينتبه الخلص من المسلمين الذين يصطفيهم الله لإنقاذ الناس، ويعينهم على قراءة الواقع قراءة متثبتة، والنظر إلى الأمور بحكمة وتبصر قال تعالى: "الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس". حينما يركب العدو غروره ويمتطي كبرياءه وعجبه ولايرى إلا رأيه يظهر الله الفرج على يد المعتصمين بحبل الله المستمسكين بالكتاب والسنة الذين يبيعون دنياهم ويقدمون ثمنها مهراً للجنة قال تعالى: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ذلك هو الفوز العظيم".

في مثل زماننا هذا يحاسب المؤمنون الفطناء أنفسهم ويحاسبون أهواءهم ويستحيون من خالقهم، ويجددون العهد بربهم، فيختار الله تعالى منهم من يجدد به للأمة أمر دينها ودنياها، قال تعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فطوبى لمن يختاره الله سبحانه ليحيي به الأموات التعساء ويعز به الأذلاء ويشبع به الفقراء ويفاخر به الرسول الكريم يوم الهول والبلاء.

اللهم امنن علينا بما أنت أهل له، وأحيينا حياة كريمة وسخرنا فيما يرضيك عنا آمين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على نبي الرحمة والهدى وعلى اله الأطهار وصحابته الأخيار.

وبعد، تعلمون عباد الله أن من تمسك بدينه في مثل زماننا هذا . وإن عجز عن إظهاره ونشره والدفاع عنه فهو منتصر غير منهزم. وإن تستر وتخفى . وإن له القدوة في أصحاب دار أرقم بن أبي الأرقم، ومن تخلى عن متاعه أو كرسيه ومنصبه أو ماله وأرضه وداره وأهله ليحافظ على إيمانه فهو منتصر غير منهزم، وإن هاجر البلد وغادر الوطن، وإن له لسلفا من أهل الكهف والمهاجرين إلى الحبشة وإلى يثرب، ومن جهر بإسلامه وفاخر بإيمانه وأحسن الدعوة إليه وقاتل عليه حتى فاز بالشهادة فهو ناصر منتصر في مقام عال مع سيد الشهداء حمزة وصحبه رضي الله عنهم، وإن له لأسوة في حمزة وعمر وخالد وعكرمة.

ومن هو المنهزم في زماننا؟إنهم هم الذين يسترخصون دينهم ويتخلون عنه مقابل شهادة أو وسام أو ابتسامة أو كلمة مخيفة أو إشارة قلقة أو نظرة غاضبة. إن المنهزمين في زماننا هم الذين لايؤمنون بنعيم الجنة المقيم ولابعذاب النار الدائم، إنهم هم الذين لايؤمنون إلا بمتاع الدنيا إنهم هم الذين قال فيهم الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام: "ستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا".

ومن هؤلاء المنهزمين الخاسرين منهم من يتخلى عن دينه دون مقابل أو من أجل التقاط صورة تجمعه في موقف خزي مع كافر غادر أو مشرك فاجر أو منافق كافر. ليحذر كل مسلم أن يقع في الهزيمة الإيمانية، فإن المسلم الذي يفاجئه الأجل وهو منهزم إيمانا لن يستطيع أن يعوض خسارة الإيمان ولو كان يملك السماوات والأرض، قال تعالى:" إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم" وإن حضره أجله وهو مؤمن فلهو الرابح المظفر حقا وإن مات مطرودا عن وطنه أو معزولا من منصبه أو موقوفا من عمله أو محروما من ماله وأهله. والتوبة عباد الله من الذنب الأكبر الذي هو الكفر والشرك والنفاق يجب التعجيل بها، يجب التعجيل بالتوبة من الذنب الأكبر لأن الذنب الأكبر لاينفع معه عمل صالح مهما كان، قال تعالى: (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وليس الكفر فقط أن ينكر الإنسان وجود الله عز وجل أو ركنا من أركان الإيمان فحب الكفار كفر، والرضا بالكفر كفر، والخوف من الكفار مع نسيان الله كفر، والرغبة إليهم كفر، والإعراض عن الله كفر، واعتقاد أن الكفار يعجزون الله سبحانه كفر، وتقدير الكفار كفر، والتعاون مع الكفار ضد الإسلام كفر، والتبين والتميز والتبصر والتثبت في زمن الظلمة والضباب واجب عقلا وشرعا قبل أي موقف أو أية خطوة، والحذر الحذر كل الحذر أيها العباد من التزيين والترغيب، من تزيين الشيطان وأولياء الشيطان وترغيبهم وترهيبهم كذلك. فانظروا رحمكم الله، انظروا رحمكم الله أي مرتبة من مراتب الإيمان ينبغي أن يكون فيها المؤمن الفطن في زمن الزور والخداع، وما هي الحال التي تحبون أن يزوركم فيها ملك الموت، فإنكم لاتعلمون متى يزوركم فترقبوا وتأهبوا واحذروا الغفلة في زمن الكدر والغفلة.

ألهمني الله وإياكم الرشد في الإيمان، والسلامة في الإسلام، وختم لي ولكم بالحسنى والرضوان، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، وعن الصحابة المتبصرين، وعن التابعين المتمسكين بهدي النبي الكريم وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم وفق عاهل المغرب أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس إلى سبيل الهداية والرشاد وأيده بالحكمة والسداد واجعله للحق وضدا على الفساد واشدد اللهم أزره بأصلح العباد وبارك في ولي عهده المولى الحسن وشقيقه المولى الرشيد وبارك في سائر أبناء المسلمين إنك سميع مجيب.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ويغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين آمين.

المجاز إلى معرفة المجاز

■ للعلامة ابراهيم التادلي الرباطي دارا ومتشئا رحمه الله

الحمد لله خالق الحقيقة والمجاز، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الموىد بدلائل الاعجاز، وعلى اله كوى النفوس الزكية، واصحابه اولى العقول الذكية.

اما بعد:

فإن اقسام المجاز قد ذكرت في الكتب مفصلة، فأردت ذكرها في هذه الرسالة مجملة، فنظمت فوائد قواعدها في ثلاثة عقود وسميتها: المجاز إلى معرفة المجاز.

العقد الأول في أقسام المجاز وفيه ثلاث فوائد ومقدمة وخاتمة

المقدمة:

الحقيقة قسمان، عقلية، وهي إسناد الشيء إلى ما هو له، فلا تكون إلا في مركب نحو، أنبت الله البقل، ولفظيه وهي قسمان، مفردة وهي الكلمة المستعملة فيما وضعت له نحو: رأيت أسدا ومركبة، وهي المركب المستعمل فيما وضع له نحو، قام زيد .

والمجاز قسمان عقلي وهو إسناد الشيء إلى غير ما هو له، لعلاقة بينهما مع قرينة مانعة من إرادته، وهو قسمان مرسل واستعارة، لأنه إن كانت علاقة المشابهة فاستعارة وإلا فمرسل، فالاستعارة مجاز علاقته المشافهة، وهي قسمان تصريحية نحو رأيت أسدا يرمى، ومكنية رأيت رجلا يفترس، والمرسل مجاز علاقته غير المشابهة، نحو أكلنا الماء، والمركب هو اللفظ المركب المستعمل في غير ماوضع له، لعلاقة وقرينة مانعه من إرادته وهو قسمان، مرسل واستعارة تمثيلية، فالتمثيلية مجاز مركب علاقته المشابهة نحو إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، والمرسل مجاز مركب علاقته غير المشابهة نحو إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى والمرسل مجاز مركب علاقته غير المشابهة نحو رحمة الله.

والتشبيه تشريك أمر لأمر في معنى بالكاف ونحوها، وأركانه أربعة المشبه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه، نحو زيد كالأسد في الشجاعة، وزيد أسد، والكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه.

الفريدة الأولى: قرينة المجاز، ثلاثة أقسام لفظية نحو رأيت أسدا يرمى، وحالية نحو رأيت أسدا، وعقلية نحو يارحمان

الفريدة الثانية: لايعدل عن الحقيقة إلى المجاز الالنكتة كالمبالغة.

الفريدة الثالثة في الاستعارة والمرسل، أما الاستعارة فأركانها أربعة: المستعارة له، والمستعارة منه. ولفظ المستعار منه، والجامع، وهو ماقصد اشتراك الطرفين فيه، واتفق القوم على أسس الاستعارة التصريحية لفظ المشتبه به المستعار المذكور نحو رأيت أسدا يرمى، ولاتكون إلا تحقيقية والمجاز المرسل علاقته غير المشابهة وأقسامه كثيرة، كالوجه في الذات الخاتمة.

يعرف المعنى المجازي بالدليل كالنقل أو العقل.

العقد الثاني في تحقيق المكنية وفيه ثلاث فرائد ومقدمة وخاتمة

المقدمة

: اتفق القوم على أنه إذا شبه أمر بآخرين من غير تصريح بشيء من أركان التشبيه سوى المشبه، ودل عليه بما يخص المشبه به كان في الكلام مكنية وتخييلية، لكن اختلفوا في تعيين المعنى الذي يطلق عليه.

المكنية على ثلاثة مذاهب، نبينها في هذا العقد، كما اختلفوا في تعيين المعنى الذي يطلق عليه التخييلية على ثلاثة مذاهب أيضا، نبينها في العقد الثالث.

الفريدة الأولى: يوخذ من كلام السلف أن المكنية لفظ المشبه به المستعار المحذوف المدلول على قصده بذكر لازم من غير تقديره في الكلام مناسبة تسميته استعارة مكنية، أو مكنيا عنها، أو استعارة بالكناية ظاهرة، وإليه ذهب الزمخشري، وهو المختار، الفريدة الثانية: قد يوخد من كلام السكاكي أنها لفظ المشبه المستعار المذكور، ورد بأن لفظ المشبه لم يستعمل إلا في معناه الحقيقي فلا يكون استعارة.

الفريدة الثالثة: ذهب الخطيب إلى أنها التشبيه المضمر في النفس الذي لم يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه، ورد بأنه لاوجه لتسمية استعارة.

الخاتمة المشبه في المكنية لايجوز ذكره بلفظ المشبه به وإلا كان تصريحية، ويجوز ذكره بلفظه الموضوع له وبغيره، كما إذا شبه شيء بأمرين واستعمل لفظ أحدهما فيه، وأثبت له لازم الأخر فتجتمع التصريحية والمكنية والتخييلية نحو فأذاقها الله لباس الجوع والخوف"، شبه مايغشى الإنسان من أثر الضرر عند جوعه وخوفه بلباس في الاشتمال، فاستعير له إسمه وبطعم من يشيع في الكراهة، فيكون مكنية وإلا فإنه تخييلية.

العقد الثالث في تحقيق معنى التخييلية، وفيه ثلاث فرائد ومقدمة، وخاتمة

المقدمة:

اتفق القوم على أن في نحو أظفار المنية مكنية وتخييلية كما مر، لكن اختلفوا في تعيين معنى التخييلية على ثلاثة مذاهب، نبينها في ثلاث فرائد.

الفريدة الأولى: ذهب السلف إلى أن التخييلية إثبات لازم المشبه به للمشبه، فيكون مجازا عقليا دائما، والمكنية والتخييلية متلا زمان، وإليه ذهب الخطيب، وهو المختار.

الفريدة الثانية: ذهب السكاكي إلى أنها لفظ لازم المشبه به المثبت للمشبه، مستعار الأمر محقق أو مخيل مشبه بمعناه الحقيقي، فيكون مجازا لفظيا دائما، ورد بأنه تكلف.

الفريدة الثالثة: جوز الزمخشري كونها استعارة ليلايم المشبه، تصريحية وهي لفظ لازم المشبه به المثبت للمشبه، كما في قوله تعالى:" ينقضون عهد الله"، استعير الحبل لعهد الله، والنقض لإبطاله، وكونها مجازا عقليا، وأشار السيوطي أن تكون مجازا لفظيا إن كان للمشبه لازم يناسب، لازم المشبه به كما في ينقضون عهد الله، وإلا كانت مجازا عقليا كأظفار المنية.

الخاتمة: وفيها مسائل:

الأولى: الاستعارة، قسمان أصلية، وتبعية، لأنها إن كانت إسما جامدا كأسد، فأصلية وإلا فتبعية لجريانها في اللفظ المذكور، بعد جريانها تقديرا في المصدر، إن كان المستعار مشتقا، وفي متعلق معنى الحرف مايعبر به عنه من المعنى المطلق كالابتداء، وأنكر السكاكي التبعية والمجاز العقلي وردهما إلى المكنية.

الثانية: الاستعارة، ثلاثة أقسام: مرشحة، ومجردة، ومطلقة، لأنها إما أن تقترن بما يلازم المستعار منه نحو رأيت أسدا له يد فمرشحة، أو المستعار له نحو أسدا شاكي السلاح، فمجردة أولا فمطلقة: نحو رأيت أسدا يرمى.

الثالثة: الترشيح يكون للحقيقة كالتشبيه بذكر مايلائم المشبه به، وللمجاز العقلي بذكر ما يلايم ماهوله زائدا على قرينة، وللمجاز اللفظي بذكر مايلايم المعنى الحقيقي زائدا على قرينته أيضا سواء كان مرسلا نحو الأمير يده طويلة، أو استعارة تصريحية نحو رأيت أسدا له يد، ومكنية نحو نطق لسان الحال بكذا، ويجوز جعله ترشيحا لقرينتها على المذاهب فيها، والفرق بين قرينة المكنية وترشيحها وبين قرينة التصريحية وتجريدها، قوة التعلق بأيهما أقوى تعلقا، فهو القرينة وماسواه ترشيح أو تجريد.

الرابعة: الترشيح حقيقة، ويجوز أن لايكون حقيقة.

الخامسة: التعريض لفظ مستعمل في معناه ليلوح بغيره، والإشارة دلالة اللفظ على ما لم يقصد به.

السادسة: أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه و أن الكناية أبلغ من التصريح والاستعارة أبلغ من الكناية، والتمثيلية أبلغ من غيرها، والمكنية أبلغ من التصريحية، والمرشحة أبلغ من المطلقة، والمجردة والمطلقة أبلغ من المجردة .

السابعة: الاستعارة قسمان: عامية، وخاصية، فالعامية مايظهر فيها الجامع للعوام نحو رأيت أسدا يرمى، والخاصية مالا يظهر فيها الجامع إلا للخواص نحو:

وإذا احتبى قربوسه بعنانه

علك الشكيم إلى انصراف الزائر

الثامنة: الاستعارة ستة أقسام، لأن الطرفين إن كانا حسيين فالجامع إما حسي نحو:" فأخرج لهم عجلا.

وإما عقلي نحو، "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار" وأما مختلف، نحو رأيت شمسا يضحك، وإلا فهما إما عقليان نحو: من بعثنا من مرقدنا، وإما مختلفان والحسي هو المستعار منه نحو: "فاصدع بما تومر"، أو عكسه نحو:" إنا لماطغى الماء حملناكم في الجارية.

تمت الرسالة الموجزة ذات الفوائد المنجزة هـ

ح.ع.هـ 1348.

أعدها للنشر: ادريس كرم

إعلان

في إطار أنشطة المجلس العلمي المحلي لجهة الدار البيضاء الكبرى، يلقي الأستاذ الدكتور عبد الحميد محي الدين عضو المجلس العلمي المحلي بمراكش محاضرة بعنوان :

الشباب بين أحكام الدين وتيارات العصر

وذلك يوم الجمعة 11 ربيع الثاني 1426هـ الموافق لـ 20 ماي 2005م في الساعة 6:30 مساء بمقر المجلس العلمي المحلي بجهة الدارالبيضاء الكبرى.

بشروا ولا تنفروا

■ بقلم
عبد
القادر
دغوتي

■ في مثل شهركم هذا ، ولد نبي الرحمة، ومبشر الأمة ، سيدنا محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، فبشرى لمن آمن به واتبع هداه، وبشرى لمن بشّر به ، وحمل إلى الناس. من بعده. أنوار رسالته ، فجمعهم عليها وجدد عهدهم بها، رافعا شعار قوله عليه السلام « بشروا ولا تنفروا» وهو وصية منه عليه السلام لدعاة الإسلام يوجههم الوجهة الصحيحة وينهج لهم المنهج المثمر في تبليغ رسالة الاسلام إلى العالمين كماهي في أصلها واضحة جلية ، لا تعقيد فيها ولا تعسير، ولا تشديد فيها ولا تنفير. ففي صحيح البخاري عن أنس عن النبي « صلى الله عليه وسلم ، قال : « يسروا ولا تعسروا، ، وبشروا ولا تنفروا» فعلى دعاة الإسلام أن يبشروا بهذا الدين العظيم ولا ينفروا منه»، وأن يأخذوا بأيدي المسلمين ليبصروهم بحقيقة الإسلام وروحه ويجلوا عنها ما علق بها من غبار الشوائب والبدع والتأويلات المبطلة ، وبعبارة جامعة:أن يجددوا أمر هذا الدين ليبشروا به العالمين.

إن تبليغ دعوة الاسلام واجب معين في حق بعض الناس . روى البخاري عن أبي بكرة(رضي الله عنه) قال : خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال « أتدرون أي يوم هذا؟ » إلى أن قال صلى الله عليه وسلم ألا هل بلغت؟! قالوا : نعم قال « اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع» قال الحافظ بن حجر (ت 852هـ في شرحه لهذا الحديث « وفي الحديث من الفوائد أيضا وجوب تبليغ العلم على الكفاية ، وقد يتعين في حق بعض الناس » ، قلت : وهؤلاء الذين يتعين عليهم وجوب تبليغ العلم والدعوة إلى العمل بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم والانتهاء عما نهى عنه هؤلاء هم العلماء يستفاد هذا من قوله تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» فقوله : «منكم» يدل على التبعيض ، بمعنى أن يكون منكم علماء عالمين بطرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيتولون ذلك . قال أبو حيان الأندلسي «الظاهر أن قوله « منكم » يدل على التبعيض... لأن الدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يصلح إلا لمن علم المعروف والمنكر ، وكيف يرتب الأمر في إقامته، وكيف يباشر. فإن الجاهل ربما أمر بمنكر ونهى عن المعروف، وربما عرف حكما في مذهبه مخالفا لمذهب غيره فينهى عن غير منكر ويأمر بغير معروف ، وقد يغلظ في مواضع اللين وبالعكس . فعلى هذا، تكون « من » للتبعيض ، ويكون متعلق الأمر ببعض الأمة . وهم الذين يصلحون لذلك ، أما الداخلون في وظيفة هذه الطائفة ، ممن ليسوا أهلا لها، فإنهم يضرون الأمة بما يثبتون فيها من بدع وأفكار دخيلة مشوهة لصورة الاسلام ، ثم لصورة العلماء الدعاة.

فالدعوة إلى الله ، أمر واجب على ورثة الانبياء . وهؤلاء إنما هم العلماء . وقد قال تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء» على أنه لابد لدعاة الاسلام .وهم في طريق الدعوة إلى الله . أن يتذكروا وصيته . صلى الله عليه وسلم . حين أوصاهم بقوله « بشروا ولا تنفروا » وهي الوصية نفسها التي أوصى بها أبا موسى ومعاذا لما بعثهما إلى اليمن فقال لهما « يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا» فكيف يحقق دعاة الاسلام وصيته عليه السلام ، فيبشروا ولا ينفروا؟

إن منهج التبشير في الدعوة إلى الله ، مرتبط ارتباطا وثيقا بدستور هذه الدعوة. فهو الذي رسم خطوات هذا المنهج ، وهو الذي يبين معالمه. فلنقرأ مادة من مواد هذا الدستور ، لنتلمس خطوات المنهج التبشيري الدعوي الاسلامي. يقول الله تعالى« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » سورة النحل:الآية 125 إنهما خطوتان أساسيتان في هذا المنهج التبشيري الذي نهجه النبي « صلى الله عليه وسلم ، ثم صحابته الدعاة من بعده ..فكانوا حقا مبشرين: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، ثم الدعوة عن طريق الجدال بالتي هي أحسن.

أولا : الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

قيل في الحكمة أنها كل كلام وافق الحق. وقيل : هي الكلام المعقول المصون عن الحشو . وهي أيضا وضع الأمور في مواضعها ، وإدراك الصواب واتباعه.

والموعظة هي الكلمة التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة.

فقوله تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم لدعاة الإسلام من بعده، لأن يجعلوا من الحكمة الطيبة مفتاحا للقلوب الغافلة ، ونورا لإرشاد الحيارى ، فالكلمة الطيبة والقول اللين ، يدخلان إلى القلوب برفق ، فيجعلانها تلين وتستكين إلى شخص الداعي الذي يحمل إليها أنوار الهداية الربانية. فإذا استكانت إليه استطاع هو أن يبصر فيها موضع الداء ليعالجه برفق ولطف ، واستعدت هي للعلاج ، وتقبل الدواء، أفرايتم كيف يعامل الطبيب الحكيم مريضه فتدبروا ثم أبصروا قوله تعالى: « ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك».

ثم إن من مقتضيات الحكمة ، أن يكون الداعية عارفا بأحوال المخاطبين ومدى استعدادهم لتقبل خطابه واستيعابه.. فيتدرج معهم ويختار لكل مقال مقام .. يقول سيد قطب « والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها . والطريقة التي يخاطبهم والتنويع في هذه الطريقة بحسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمة في هذا كله، وفي سواه . ثم يقول . ... وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق وتتحمل المشاعر بلطف ، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب ، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية . فإن الرفق في الموعظة ، كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ » .

هذا بإيجاز عن الخطوة الأولى في المنهج الدعوي التبشيري .. الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة . ثم بعدها تأتي الخطوة الثانية ، وهي الجدال والمناظرة لمن يحتاج إلى ذلك . لكن ما طريقة هذا الجدال؟ سؤال يجيب عنه دستور الدعوة بقوله تعالى « وجادلهم بالتي هي أحسن »

ثانيا : الدعوة عن طريق الجدال بالتي هي أحسن

إن الناس معادن. والداعي بدعوة الاسلام، إذا وجد منهم من يوافقه الوجهة فاكتفى بتذكيره وإيقاظ قلبه بالموعظة الحسنة، فإنه قد يجد من يخالفه ومن لا يرضى بغير التحاور والجدال . وهنا يتوجب عليه أن يفسح صدره لذلك، وألا يستنكف عن محاورة المخالف بل وحتى الحاقد والمعادي إذا تطلب الأمر.

ونحن إذا رجعنا إلى دستور الدعوة الاسلامية ، نجد مواده حافلة بإرساء ثقافة الحوار ، والتأصيل لها على مختلف مستوياتها، فنجد طرق الحوار بين رسل الله وأقوامهم ونجد حواره سبحانه وتعالى مع خلقه من ملائكة وأنبياء، بل مع شر خلقه: إبليس .

فإن كان سبحانه وتعالى قد فسح المجال ، لابليس . الذي عصى أمره واستكبر . ليحاوره فحري بدعاة الإسلام أن يلتمسوا طريق الحوار مع مخالفيهم تأسيا بما يدعو إليه دستور الدعوة.

غير أنه ينبغي لهذا الحوار أو الجدال . أن يكون وفق ما يحقق وصيته عليه السلام « بشروا ولاتنفروا» وذلك ما بينه قوله تعالى « وجادلهم بالتي هي أحسن » فالواجب في الجدال أن يكون بأحسن طرق المجادلة من رفق ولين ، ومن غير فظاظة ولا تعنيف.

وهكذا.. « إذا كان المنهج القرآني يتضمن دعوة الموافقين بالحكمة والموعظة الحسنة ،فإنه يتضمن أيضا حوار المخالفين بأرقى أساليب الحوار وأرقاها وألطفها وهو ما يرشد إليه قوله تعالى في الآية:« وجادلهم بالتي هي أحسن » بمعنى أنه لو وجدت طريقتان للجدال أو للحوار : طريقة حسنة جيدة ، وطريقة أحسن منها وأجود ، فالمسلم مأمور أن يحاور المخالفين بالطريق التي هي أحسن وأجود»

واتباع منهج القرآن في الدعوة إلى الله ، يمكن الداعية من تحقيق النجاح في إبلاغ رسالة الإسلام، بإقناع المتردد ، وطمأنة الخائف ، وتهدئة المتوتر. وإذا اقتنع المجادل عن طريق الحوار العلمي . يقول الشيخ يوسف القرضاوي . يمكن أن يتنازل عن رأيه دون أن يشعر بالهزيمة أو خدش في كبرياء نفسه، بل وحتى الحاقد والمعادي العنيد ، قد يخفف من حقده وعداوته وعناده.

فإذا نهج الدعاة هذا المنهج والتزموا خطواته حققوا وصيته عليه السلام التي أوصاهم بها إذقال « بشروا ولا تنفروا» فكانوا قد بعثوا حقا مبشرين ولم يبعثوا منفرين.

خاتمة:

قد يتبادر إلى الذهن من سماع كلمة« التبشير» مدلولها التنصيري الصليبي وهو « ذلك الجهد الكنيسي الذي يقوم به الدعاة نحو النصرانية في الدعوة والعمل ، ويسعون من ورائه نحو الدفع بالشعوب الأخرى المسلمة أو الوثنية نحو اعتناق النصرانية ، أو يسعون نحو تشكيك المسلمين في دينهم » وأولئك المنصرين إنما جعلوا كلمة « التبشير » شعارا لحملاتهم ، إيهاما بأنهم يدعون إلى البشارة وأنهم يبشرون الناس بالسلام والجود في الدنيا.. والرحمة والخلاص في الآخرة .

إن التبشير إسم على دعوة الداعي إلى الاسلام وليس على دعوة المنصر الصليبي . إسم على دعوة الناهج منهج القرآن في الدعوة إلى الله. فهو المبشر حقا ، مثلما أن نبي الاسلام هو المبشر والبشير. قال تعالى مخاطبا نبيه عليه السلام« وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا » سورة فاطر / الآية 24 وقال « إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا » سورة البقرة / الآية: 119 . فالمنصر الصليبي ليس مبشرا إنما المبشر هو المسلم الداعي بدعوة الاسلام، الناهج منهج القرآن ، لتنفيذ وصيته عليه السلام « بشروا ولا تنفروا »

تأملات ومشاهد

حركة العلوم والأدب بمدينة تازة

د. ربيعة بنويس -كلية الآداب والعلوم الإنسانية - القنيطرة

الحلقة الرابعة

■ هناك شاعر آخر من مدينة تازة هو" محمد بن أحمد المكودي" الملقب ب " أبي عبد الله، التازي الأصل ، توفي بفاس سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة للهجرة . قال عنه صاحب نثير الجمان»: هو رافع راية الأدب في عصره، ومن برّ بالثورة أعلام مصره وله معرفة بالطريقة الصوفية، وسلوك في معانيها الجلية، وكان وجيها عند الملوك، ومعظما عند المالك والمملوك».

وقد نظم " محمد بن أحمد المكودي " مجموعة من القصائد الرائعة في أغراض متعددة ، ومن ذلك ما قاله في إحدى قصائده التي يمكن أن نعتبرها رثاء للأندلس ، حيث نجده يتذكر تلك المعاهد بريحها الجميل ونسيمها العليل ، ورياضها الغناء التي كانت ملتقى العشاق والمحبين، فيتحسر عليها وعلى ما أصابها بعد سيطرة العدو عليها، حيث عمل على طرد وتشريد وقتل المسلمين المتواجدين بها.

ومما قاله الشاعر في قصيدته:

سرت والدجى لم يبق إلا يسيرها
نسيم صبا يحيى القلوب مسيرها
ومرت بنا من نحو رامة نفحة
أعادته مرير العيش حلوا مرورا
تنشقتها مستمنحا عرف عرفها
فعبر عن طيب الحبيب عبيرها
أسرت بقلبي من سريرة حبه
حديثا سرى منه لنفسي سرورها
فلله ما أندى على القلب سيرها
وأطيب ما أدى إليه سفيرها
ولم ندر إذ ملنا نشاوى بروحها
أريح شمال أم شمول نديرها؟
فما بسوى صدق الغرام أرومها
ولا بسوى زَوْر الخيال أزورها!

إن قصيدة الشاعر، وإن كان من خلالها يتذكر الأيام الجميلة التي كانت للعرب بالأندلس ، فإنها تحمل بين طياتها نغمة حزينة وتوجعا مؤلما ، وهي قصيدة جميلة توسل فيها الشاعر بشتى الأساليب البيانية والبديعية، التي كان المغاربة شغوفين بها نظرا لتأثرهم بالشعر المشرقي الذي يعتمد الصنعة ، بل الأندلسي الذي بدوره كان ميالا إلى هذا التصنع بفعل التأثر الكبير الذي مورس عليه من قبل شعراء المشرق، وخاصة منهم أبو تمام، حامل لواء الصنعة والتصنع في الشعر العربي ، بل ربما لكونهم لم يجدوا جديدا يعبرون به عن ما يختلج صدورهم من صور وأساليب ، فوجدوا في الصنعة والبحث عن الزخرف والتنميق متنفسهم الذي يظهرون من خلاله براعتهم في ميدان قول الشعر ، خصوصا إذا كانت جل التعابير والصور التي يتوسل بها الشعراء مستهلكة ومتجاوزة منذ القديم. لذلك كان الأسلوب سبيلهم الذي يقدمون من خلاله الجديد.

ولعل هذا ما لاحظناه على أبيات المكودي السابقة الذكر ، فالشاعر عمد فيها إلى التلاعب بالألفاظ، واحتيار الأساليب الجميلة، مكثرا من الجناسات والطبقات والاشتقاقات على نحو:(سرت، يسيرها، مسيرها، وأسرت، سريرة، سرى، سرورها) و (عبر،عبيرها) و (ندر نديرها) و (روح ، أريح) و (شمال، شمول) و (زور ، أزور) إلى آخر القصيدة ، حيث لا يخلو بيت من أبياتها من هذا التكرار الذي نحس من خلاله وكأن الشاعر يتصيده ليحمل قصيدته ما لا تحتمل ، دون أن ننفي الحلاوة التي اكتسبها المطلع بفضل الترصيع الموجود به من خلال الكلمتين المتجانستين (يسيرها ومسيرها)، ومن شعره في الغزل قوله: (الوافر)

غرامي فيك جل عن القياس
وقد سقيتنيه بكل كاس
ولا انسى هواك ولو جفاني
عليك أقاربي طرا وناسي
ولا أدري لنفسي من كمال
سوى أني لعهدك غير ناسي

ومن شعره الخمري الذي لابد وانه تأثر به من خلال زيارته للأندلس واحتكاكه بشعرائها ، قوله في هذه البيتين:

بعثت بخمر فيها ماء وإنما
بعثت بماء فيه رائحته الخمر
فقل عليه الشكر إذ قل سكرانا
فنحن بلا سكر وانت بلا شكر

من خلال ما أوردنا من شعر للمكودي ، يتبين لنا أنه شاعر كبير من شعراء المغرب ، طرق أغلب موضوعات الشعر بلغة جميلة وأساليب رائعة، وصور جميلة تدل على تمكنه من ناصية اللغة وقوافي الشعر وأساليب البلاغة والبيان . وقد قال عنه ابن الخطيب : شاعر لا يتعادل ميدانه، ومرعى بيان ورف عضله، وأينع سعدانه، يدعو الكلام فيهطع لداعيه، ويسعى في اجتلاب المعاني فتنجح مساعيه».

■الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

يوم في قرية بين الماء والكهرباء

سبق لي في صيف السنة الماضية أن زرت قرية معروفة باسمها " أولاد سلطان» بناحية العرائش ، وبالصدفة عشت مع سكانها فرحهم بعرس الماء ، بعد أن تم حفر بئر بواسطة آلة وبعملية ثقب لعمق يزيد على مائة متر في باطن الأرض على إثرها تفجر الماء من البحيرة الجوفية التي تمتد إلى مسافات بعيدة ، وقد قدر لي هذه المرة زيارة القرية، ففوجئت بمشهد يبعث الأمل والسرور ، فالأبقار والغنم والحيوانات الأليفة التي كانت تطفي عطشها في الواد الغريب لم تعد تشرب منه بسبب الجفاف فغاض الماء ، وحولت وجهها إلى النبع الجديد، والنساء والصبايا لم يعدن يحملن جرارهن لملئها بالماء من الواد الذي كان يستقي منه السكان ومواشيهم .

وبجانب النبع صادفت مهندس الأشغال العمومية الذي قال لي: إن الماء المتدفق من البئر سيسقي ثلاث قرى ، ولن يكون هناك عطش للسكان بعد اليوم.

لقد هالني أن تصبح القرية محرومة من الماء في وقت الجفاف ماهو مصير سكانها من الأطفال والعجائز والنساء ،، فمن أين يشربون ؟ على أن الحظ شاء لهم أن يشاهدوا الماء يتفجر من البئر هادرا ويرتفع إلى عنان السماء ، وشاء لهم الحظ مشاهدة قريتهم تتلألأ بأنوار الكهرباء ، وأصبحوا يتمتعون بنعمة الماء ونعمة الكهرباء ، ولذلك سموا جمعيتهم المنتخبة بجمعية " النور للماء الشروب والتنمية" مقتنعين بأن قريتهم لن تتم تنميتها بدون ماء وكهرباء ومن النبع تدفق الماء إلى المدرسة التي يتوجه إليها الأطفال كل صباح. لقد قضيت بقرية " أولاد سلطان يوما سعيدا مع أهلها ، وكنت أمل أن تزدان مرابعها بالربيع والزهور، لكن الجفاف أتى على كل شيء وعلى المحاصيل الزراعية، وبات الفلاحون يتطلعون بحسرة إلى كوكب الشمس الناري وهو يشوي الوجوه والأرض ، وبرغم ذلك حضرت أمسية بجامعها الذي يعتبر ناديا لهم يناقشون فيه أمورهم، ويتحدثون عن مشاكلهم والبحث عن حلولها وبينما عمد بعضهم إلى إلحاق أولادهم بالمدرسة ، فضل آخرون إلحاق أبنائهم بالكتاب لحفظ القرآن، وكنت ترى أطفالا في عمر الزهور بمحافظهم المحمولة على ظهورهم يلتجئون إلى مدرستهم ذات البناء العصري الجميل ، نشاهد أطفالا آخرين يذهبون مسرعين إلى المسيد الذي تداعى بناؤه سبب القدم وانعدام الصيانة، وسألت طالبا وبيده لوح كبير الحجم: كم تحفظ من القرآن الكريم؟ أجابني:

- أحفظ ستين حزبا ، وأنا الآن أستعد لعرض ما حفظته على الفقيه الطجني على أمل الالتحاق بقرية الصخرة القريبة لدراسة العلوم الدينية والالتحاق بعدها بالمعهد الأصيل بتطوان ، وتوجهت بسؤال إلى تلميذ كان خارجا من المدرسة : كم تحفظ من القرآن؟ أجابني : أحفظ بعض السور وقرأ علي سورة الرحمن.

عاشت القرية وكل القرى المجاورة سنوات الجفاف والعطش والظلام الدامس ، وهاهي اليوم تتمتع بنعمتين نعمة الماء ، ونعمة الكهرباء ومصدرهما معا من الماء الذي قال عنه سبحانه :« وجعلنا من الماء كل شيء حي ».

وأقامت القرية عرسا خاصا بالمناسبة ورقص الأهالي ابتهاجا على أضواء المصابيح الكهربائية بدل مصابيح الزيت والبنزين القديمة . أجل إنه عرس آخر من أعراس قرية " أولاد سلطان".

نماذج الخلق العظيم من سيرة سيد المرسلين

إعداد الأستاذ: مصطفى غاني

تمهيد:

إن المستقرئ للنص القرآني يلاحظ ان الله تعالى قد اثنى على رسوله في آيات عديدة . لكن أعظم ثناء ورد في قوله عز وجل « وإنك لعلى خلق عظيم»

وقد وقف علماء السيرة عند هذا الخلق العظيم ، وتتبعوا بعض مظاهره ، سواء في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرية أومع صحابته أو مع أعدائه.

بل إنهم وقفوا مع مظاهر هذا الخلق حتى قبل بعثته عليه السلام، حيث اشتهر بين الناس بالسمو الأخلاقي ، حتى لقب بالأمين قبل أن ينزل عليه الوحي.

نماذج من أخلاقه عليه السلام قبل البعثة:

وهكذا فالخلق العظيم ظهرت معالمه في هذا النبي الكريم قبل أن ينزل عليه الوحي ، حيث تحلى بالعفة منذ أن كان شابا ، فقد روى ابن الأثير والطبراني والحاكم عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما هممت بشيء مما كانوا في الجاهلية يعملونه غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه ، ثم ما هممت به حتى أكرمني الله بالرسالة ، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي بأعلى مكة لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال : افعل فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا فقلت ما هذا؟ فقالوا عرس ، فجلست أسمع فضرب الله على أذني ، فنمت فما أيقظني إلا حر الشمس ، فعدت إلى صاحبي ، فسألني فأخبرته . ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة ، ثم ما هممت بعده بسوء.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه "فقه السيرة" وهو يستخلص العبر والعظات من هذا الحدث، وفيما قصه النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه من خبر حفظ الله إياه من كل سوء منذ صغره . وصدر شبابه ما يوضح لنا حقيقتين كل منهما على جانب كبير من الأهمية.

الأولى : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متمتعا بخصائص البشرية كلها ، وكان يجد في نفسه ما يجده كل شاب من مختلف الميولات الفطرية التي اقتضت حكمة الله أن يجبل الناس عليها ، فكان يحس بمعنى السهر واللهو ويشعر بما في ذلك من متعة وتحدثه نفسه لو تمتع بشيء من ذلك كما يتمتع الآخرون.

الثانية : إن الله عز وجل قد عصمه مع ذلك عن جميع مظاهر الانحراف وعند كل ما لا يتفق مع مقتضيات الدعوة التي هيأه الله لها، فهو حتى عند ما لا يجد لديه الوحي أو الشريعة التي تعصمه من الاستجابة لكثير من رغائب النفس ، يجد عاصما آخر خفيا يحول بينه وبين ما قد تتطلع إليه نفسه مما لا يليق بمن هيأته الأقدار لتتميم مكارم الأخلاق وإرساء شريعة الإسلام وفي اجتماع هاتين الحقيقتين لديه صلى الله عليه وسلم دليل واضح على أن ثمة عناية الهية خاصة تسيره وتأخذه بيده بدون وساطة الأسباب المعروفة كوسائل التربية والتوجيه.

ولقد ادرك هاته العفة والأمانة وغيرهما من مظاهر الخلق العظيم ، كل من عاشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. فكتب السيرة حينما تتحدث عن تجارته عليه السلام بمال خديجة ، تحكي ما لاحظه غلامها ميسرة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم أخلاقه فلما حكى الغلام ذلك لخديجة رضي الله عنها ولاحظت ما نالها من بركة بسبب أمانته عليه السلام ، عرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها نفيسة بنت منية.

ولما تزوجها عليه السلام اكتشفت فيه مجموعة من مكارم الأخلاق وهذا هو الذي عبرت عنه حينما رجع عليه السلام بعد نزول أول وحي من غار حراء ، وفؤاده يرجف ، حيث قالت له رضي الله عنها بعد أن أخبرها الخبر، وعبر عن خشيته على نفسه : كلا والله لايخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق».

نماذج من أخلاقه عليه السلام بعد البعثة:

لقد ازادت أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم سموا بنزول الوحي عليه لأنه اتصل بمصدر الخلق العظيم ، فجسد عليه السلام بأفعاله وأقوله وتقريراته ما يدعو إليه القرآن من سمو أخلاقي ، وهكذا لما نزل قوله تعالى: « وإنك لعلى خلق عظيم» سأل الصحابة رضوان الله عليهم عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه السلام ، فقالت كما ورد في صحيح السنة : « كان خلقه القرآن»

أخلاقه عليه السلام مع أسرته:

إن أول من ينبغي أن يستفيد من أخلاق المرء أهله ففي الحديث الذي رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » فرسول الله صلى الله عليه وسلم جسد من خلال تعامله مع أهله قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» وهكذا كان هينا لينا مع زوجاته يحرص على حقوقهن ، يتحلى بخلق العدل في جميع المواقف ، فهو حينما يريد السفر يقرع بينهن فأيتهن خرج سهمها سافرت معه.

وكان صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن في العطاء ، فقد كان المسلمون يعلمون مكانة عائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يتحرون بهداياهم يومها يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عليه السلام يرسل لكل زوجة نصيبها مما يتلقى في بيت عائشة.

أما الأبناء فكان صلى الله عليه وسلم يرتحل حفيديه الحسن والحسين رضي الله عنهما في الصلاة فلا يرفع رأسه حتى ينزل الغلام.

أما علاقته عليه السلام بالخدم فكانت علاقة مثالية ، فهذا أنس بن مالك يقول « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء تركته لم تركته.

أخلاقه عليه السلام مع أصحابه:

لقد كان عليه السلام كما شهد بذلك القرآن الكريم لينا في تعامله مع أصحابه قال عز وجل : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك»

ومن مظاهر ليونته عليه السلام، أنه لا يعاقب المخطئ منهم مباشرة بل يوجه خطابا عاما يجسد فيه الخطأ دون تحديد المخطئ فكثيرا ما كان يستعمل في خطابه « مابال أقوام» أو « لينتهين أقوام» فقد كلف عليه السلام رجلا من الأزد على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، فخطب رسول الله وقال : « أما بعد فإني استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذه هدية أهديت لي ، افلا جلس في بيت أبيه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا.

وهاته الليونة أثمرت محبة خاصة في نفوس الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حد الهيام.

فهذا ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ذات يوم وقد تغير لونه ، ويعرف الحزن في وجهه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك؟ فقال: يارسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني لم ارك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم اني إذا ذكرت الآخرة أخاف ألا أراك لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين واني إذا دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك ، وإن لن أدخلها لم أرك أبدا فنزل قول الله تعالى: « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا».

خاتمة: وهكذا أثمر الخلق العظيم محبة خاصة في رسول الله صلى الله عليه وسلم . لأن الرحمة والليونة والعدل والعفة وغيرها من مظاهر سمو الأخلاق لا تفرز إلا علاقات فاضلة.

ولذلك فإذا أراد المسلمون اليوم أن تتحسن علاقاتهم داخل الأسرة أو في المجتمع فما عليهم إلا أن يتمسكوا بعرى الخلق العظيم الذي جسده رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » الآية.

الإمامة لغة وشرعا

■ إعداد الأستاذ : محمد العزوزي

الإمامة نوعان صغرى وكبري

الإمامة الكبرى استحقاق تصرف عام على الأنام، أي على الخلق ، والمقصود بالتصرف العام ، طاعة الإمام ، أو هي رئاسة عامة في الدنيا والدين.

والإمام الذي يقتدى به ، وجمعه أيمة، ولفظته في كتب اللغة :(أمَمَ) وهو من باب :(ردّ يرد)، أمّ يؤم والاسم منه إمام) وأم القرى مكة المكرمة، لأنها تتوسط الأرض ، أو لأنها أعظم القرى شأنا ، وأم الكتاب أصله ، أو اللوح المحفوظ، أو الفاتحة، أو القرآن جميعه ، قال تعالى :(وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وفي الكتاب العزيز: قاتلوا أيمة الكفر إنهم لا أيمان لهم) أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم ، وفي خطاب لخليل الرحمان سيدنا إبراهيم عليه السلام : (إني جاعلك للناس إماما، قال ومن ذريتي ، قال لا ينال عهدي الظالمين) سورة البقرة الآية 124.

وقوم من عباد الله ، دعوا الله أن يجعلهم قدوة يقتدى بهم، ودعاة إلى الخير هداة مهتدين:(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) سورة الفرقان/ الآيتان: 74 . 75.

والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إمام الأيمة ، وإمام الأنبياء والمرسلين ، حيث أمّهم وصلى بهم إماما ، ليلة الإسراء والمعراج ببيت المقدس.

وللامام الماوردي . رحمه الله . في كتابه :(الأحكام السلطانية) صفحة 3: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة لحراسة الدين وسياسة الدنيا).

وتعيين الإمام واجب شرعي من أهم الواجبات ، كما نص على ذلك العلماء، ويشترط في الإمام ، أو، السلطان أو الأمير، كونه مسلما ، فلا طاعة لكافر ، حرا لا شائبة رق، ذكرا. (لن يفلح قوم ولو شؤونهم امرأة) عاقلا يتمتع بالذكاء والفطنة، وسرعة البديهة ، بالغا، لا صبيا دون تمييز، قادرا على إدارة أمور الرعية ، وتسيير شؤونهم ، يجمع ذلك كله الدين الإسلامي والإمامة هاته يتولاها بالوراثة (ولاية العهد) أو باختيار أهل الحل والعقد، التصويت والانتخابات ، أو بالغلبة والقهر ، كما هو شأن الانقلابات وقلب الأنظمة ، حتى يستقر الحكم في يد شخص ، أو يد جماعة ، وهو الحكم المطلق.

2 . الإمامة الصغرى ، هي إمامة الصلاة ، وهي ارتباط صلاة المؤتم بالإمام.

فالصلاة عبادة عظيمة ، لايقبل الله عملا إلا إذا قبلت ، وإن ردت رد عليه سائر عمله ، وهي العبادة التي ينادى لها خمس مرات في اليوم على المنائر (منارة) حي على الصلاة حي على الفلاح ، جماعة ، وبإمام يتقدمهم ، بحيث يصطفون خلفه في صفوف متراصة ، يتبعونه في ركوعه وسجوده وجلوسه وتشهده، من التكبير إلى السلام ، وهي بسبع وعشرين درجة، أو بخمس وعشرين درجة وفضائل أخرى كثيرة يعلمها الله ، (والله ذو الفضل عظيم).

إلا أن هذا الإمام الذي يتولى هذه الشعيرة وهذه العبادة يتعين عليه أن تتوفر فيه هذه الشروط كي يقبلها الله ، فعند الفقهاء : (إذا انعدم الشرط انعدم المشروط) ولنستمع لصاحب المرشد المعين ، سيدي أحمد بن عاشر رحمه الله:

(شرط الإمام ذكر مكلف
آت بالأركان وحكما يعرف
وغير ذي فسق ولحن واقتدا
في جمعة حر مقيم عددا)

فشروط الإمام سبعة : أولا أن يكون ذكرا ، فالمرأة لا تؤم ، لا الرجال ولا النساء في مذهب إمامنا مالك رحمه الله ، وعند بعض المذاهب الأخرى تؤم النساء فقط لا الرجال ، مع الكراهة ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها)، لأن النساء لم يشرع في حقهن الجماعة، أصلا ، ولم يشرع لهن الأذان كذلك، ويكره لهن حضور الجماعة مطلقا ولو الجمعة والعيدين، والوعظ ليلا، كل ذلك خشية الفتنة، وتكره إمامة الرجل لهن في بيت ليس معهن رجل غيره ، ولا محرم منه كأخته أو زوجته ، أو عمته أو خالته ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يخلو الرجل بالأجنبية لما فيه من مخالطة الوسواس .

الشرط الثاني : مكلف بالغ ، فالصبي لا يؤم كونه لا يميز ويلحق به المجنون والسكران.

الشرط الثالث : أن يكون قادرا على أدائها، فلا يصلى خلف عاجز أو مريض مرضا شديدا.

الشرط الرابع: أن يكون عارفا بأحكام الصلاة فقيها في جزئياتها،.

الشرط الخامس: أن يكون غير فاسق ، لا شاربا للخمر، ولا زانيا، ولا غتابا للناس، وليس قدريا في الاعتقاد.

الشرط السادس : وليس لحانا في نطق الحروف، ويجب أن يكون فصيحا ، يجود القرآن تجويدا.

الشرط السابع : غير مقتد بغيره، فمن صلى خلف مسبوق بطلت صلاته ، يعيدها أبدا.

هذه الشروط السبعة عامة في جميع الصلوات المفروضة التي تصلى جماعة ، ويزاد عليها في صلاة الجمعة شرطان:

الأول: أن يكون حرا ، فهي لا تصح خلف عبد مملوك . والعلة في ذلك فهي لا تجب عليه ولهذا منع من الإمامة في صلاة الجمعة.

الثاني: أن يكون مقيما بالبلد ، فلا تصح خلف مسافر، إلا إذا أقام أربعة أيام كاملة ، ولم يكن قد حضر لأدائها ، وإلا عومل بنقيض قصده،

فعلى المسلمين أن يتحروا ، ويختاروا من يؤمهم، ويتقدمهم في عبادتهم ففي الحديث :(أيمتكم شفعاؤكم ، فاختاروا من تأتمون بهم) وفي حديث آخر:« الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن)

ويقدم للإمامة أقرؤهم لكتاب الله ، فإن تساوى اثنان أو أكثر ، يقدم أفقههم وإن تساووا في القراءة والفقه ، يقدم أكبرهم سنا ، فإن تساووا يقدم أحسنهم سمتا ووقارا ، (التمسوا الخير عند حسان الوجوه) فإن تساووا كذلك يقدم أحسنهم هيئة ولباسا.

وهناك حالات . كانت في صدر الإسلام . وقد ذهب بها الزمن ، وهي: يقدم أولهم إسلاما ، فإن أسلما في يوم، أو حين، يقدم أقدمهم هجرة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :« (مروا أبابكر فليصل بالناس) والسر في ذلك ، أن أبا بكر رضي الله عنه جامع لهذه الفضائل كلها ، أقدمهم إسلاما، وأقدمهم هجرة، وأكبرهم سنا، وأحسنهم سمة ووقارا وأقرؤهم لكتاب الله وأفقههم في الدين.

لهذه المزايا كلها ، قدمه المسلمون خليفة عليهم ، فقالوا : ألا نقدم لأمور دنيانا من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، وهكذا يأمر الإسلام ويتعامل المسلمون ، والله عليم بالمتقين ، وهو يتولى الصالحين والسلام على من اتبع الهدى.

ذكرى متجددة

■ إعداد الأستاذ: عبد السلام شفيق

■ القرآن الكريم ، كتاب الله تعالى ، تعرض لنشأة خاتم الأنبياء وتعرض لأخلاقه العظيمة و التي نشأ عليها ، منذ ولادته المباركة ومنحه ربه، أعلى شهادة تقديرية ، في محاسن الأخلاق فقال جلت حكمته ، وتقدست أسماؤه وصفاته : (وإنك لعلى خلق عظيم)

والعليم الخبير ، بطبائع خلقه ، وحده لا شريك له، من يستطيع ، أن يقيم نبيه التقييم الحق ، وأن يزن نبيه الوزن الحق ، على حد تعبير الشعراوي رحمه الله تعالى وصدق الله:(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) .

وهذه الأخلاق المحمدية .. التي زكاها وحي السماء لم يكتسبها صاحبها من رياضات روحية أو مجاهدات نفسية لا .. ولا من تأثيرات بيئية أو اجتماعية كلا. وإنما هي أخلاق ربانية محضة ، لا دخل فيها لبشر قط .. الأمر الذي يجليه بوضوح المقطع الثاني ، من سورة الضحى ، عند الحديث عن ميلاد نبيه الكريم ،، يذكر الحق سبحانه وتعالى ، بأنواع الرعاية والعناية ، التي أولاها لحبيبه ونبيه ومصطفاه ، منذ أن كان في المهد صبيا فهو سبحانه وتعالى من أحسن إلى نبيه بالإيواء ، ألم يجدك يتيما فآوى» .

وهو سبحانه وتعالى من أكرم نبيه بالهداية: (ووجدك ضالا فهدى).

وهو سبحانه وتعالى من جاد على نبيه بالغنى:(ووجدك عائلا فأغنى)

فالناظر إلى هذه الآيات الثلاث ، يتبين بجلاء ووضوح أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خضع منذ نشأته ، لإعداد إلهي شامل ، لكل مناحي حياته المباركة.

وهي الحقيقة الناطقة ، التي جسدها ، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقوله « أدبني ربي فأحسن تأديبي »!

بنظرة عجلى إلى صدر الحديث نتبين أنه صلى الله عليه وسلم يبرأ من حوله وقوته ، ومن كل أثر يذكر لبيئته في تربيته وتوجيهه، ويعزو الفضل كله لله تعالى فيما هدى إليه ، من خلق عظيم. « أدبني ربي »

وفي الشطر الثاني، من الحديث النبوي الشريف ، حمد وشكر لله تعالى ، على سوابغ نعمه، وحسن أفضاله وآلائه ، التي لا تحصى : كما وكيفا ، مما ترشد إليه الآية الكريمة:(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما)

وكما وصفه ربه ، في كتاب العزيز ، فقد كان صلى الله عليه وسلم ، مثلا أعلى ، لجوامع الأخلاق الكريمة ، وهو القائل صلوات ربي وسلامه عليه:« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ومن أخلاقه العظيمة ، التي نشأ عليها ، وامتدحه ربه بها : . الصدق والأمانة والوفاء... وهي صفات أخلاقية اشتهر بها صلى الله عليه وسلم في مجتمعه ، بين قومه ، حتى صار قبل بعثته الشريفةلا ينادى إلا بها فكان يقال : هذا الصادق الأمين قد أقبل علينا.. وهذا الصادق الأمين قد رضيناه حكما بيننا.

وبهذه الأخلاق المحمدية الشريفة ، بنى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرح هذه الأمة وصنع مجد هذه الأمة على تقوى من الله ورضوان

ولاخيار للمسلمين اليوم لاستعادة مجدهم الأثيل ، واسترجاع دورهم الحضاري إلا بالرجوع إلى أخلاق نبيهم عليه السلام.

إنه الخيار الوحيد لتجديد حياتهم نحو الأفضل مستلهمين هذه الذكرى المتجددة فينا .ذكرى ميلاد نبينا الأكرم ، ورسولنا الأعظم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والذكرى تنفع المؤمنين.

وصلاة وسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله والصحب أجمعين

إعلان

نظم فرع رابطة علماء المغرب بالجديدة ونواحيها ندوة علمية دينية ثقافية بالمسرح البلدي بالجديدة تحت عنوان « مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مولد أمة» .

وذلك بمشاركة السادة العلماء أعضاء الفرع الآتية أسماؤهم:

المحاضرون	الصفة	الملاحظات
ذ. عبد الرحمان ابو الفتح	رئيس الفرع	مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذ. نور الدين لحلو	عضو الفرع	فضل الأمة من فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذ. عبد الله شاكر	عضو الفرع	محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذ. أحمد العمراني	عضو الرابطة	شروط الانتساب إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم
ذ. محمد هندي الإدريسي	كاتب الفرع	إدارة الندوة

وبهذه المناسبة السعيدة قام الشاب الأديب السيد: عزوز شرحبيل . رئيس جمعية المعاقين بالجديدة والإقليم بإلقاء قصيدة شعرية في تمجيد السادة العلماء المحتفين بهذه الذكرى العطرة وقامت كذلك جمعية الراشدية للأمداح النبوية الشريفة بقراءة مختارات في مدح الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم مشنفة بذلك اسماع الحاضرين الذين تجاوز عددهم 500 شخص.

وكان مسك الختام.

. قراءة نص البرقية المرفوعة إلى مولانا أمير المومنين سبط الرسول الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بهذه المناسبة السعيدة.

. وختم هذا النشاط العلمي بالدعوات الصالحة لأمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله بما حفظ به الذكر المبين وأقر عينه بصاحب السمو الأمير ولي العهد مولاي الحسن وبصنوه السعيد مولاي رشيد وباقي أفراد الأسرة الملكية الكريمة ، وبشعبه الوفي إنه سميع مجيب.

أخطاء المصلين في السلام والمصافحة

العلامة : مشهور حسن سليمان

■ عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

إذا لقي أحدكم أخاه ، فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ، ثم لقيه ، فليسلم عليه أيضا.

في هذا الحديث : أمره صلى الله عليه وسلم ، للمسلمين بأن يسلم أحدهم على أخيه المسلم ، إذا لقيه، لما فيه من جمع الشمل ، ونفي البغض، وجلب المحبة.

والأمر في هذا الحديث إنما هو للاستحباب ، بمعنى أنه للحث ، والندب، وليس واجب.

ولا فرق في ذلك بين من في المسجد أو خارجه، بل دلت السنة الصحيحة على مشروعية السلام على من في المسجد ، سواء كان في صلاة أم لا.

عن ابن عمر. رضي الله عنهما . قال:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء يصلي فيه، فجاءته الانصار، فسلموا عليه وهو يصلي ، قال : فقلت لبلال كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم، حين كانوا يسلمون عليه، وهو يصلي:؟

قال: يقول هكذا ، وبسط كفه وبسط جعفر بن عون كفه ، وجعل بطنه أسفل ، وجعل ظهره إلى فوق.

وقد ذهب إلى حديث الإمامان أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، فقال المروزي:

« قلت (يعني لأحمد) : يسلم على القوم ، وهم في الصلاة؟

قال: نعم ، فذكر قصة بلال حين سأل ابن عمر ، كيف كان يرد؟

قال : كان يشير.

قال إسحاق : كما قال»

واختار هذا القاضي ابن العربي ، فقال:

« قد تكون الإشارة في الصلاة لرد السلام، لأمر ينزل بالصلاة ، وقد تكون في الحاجة تعرض للمصلي ، فإن كانت لرد السلام ، ففيها الآثار الصحيحة ، كفعل النبي صلى الله عليه وسلم في قباء وغيره»

والدليل على مشروعية السلام دبر الصلاة في المسجد:

حديث المسيء صلاته المشهور عن أبي هريرة:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ، فدخل رجل فصلى ، ثم جاء ، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: ارجع فصل ، فإنك لن تصل ، فرجع الرجل.فصلى كما كان صلى ، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم . فعل ذلك ثلاث مرات.

أخرجه الشيخان وغيرهما .

قال الألباني:

« وبه استدل صديق حسن خان في « نزل الأبرار» على أنه « إذا سلم عليه إنسان ثم لقيه على قرب ، يسن له، أن يسلم عليه ثانيا وثالثا».

وقال أيضا :

« وفيه دليل أيضا على مشروعية السلام على من في المسجد ، وقد دل على ذلك حديث سلام الأنصار على النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء ، كما تقدم ، ومع هذا كله ، نجد بعض المتعصبين لا يعبؤون بهذه السنة ، فيدخل أحدهم المسجد، ولا يسلم على من فيه، زاعمين أنه مكروه ، فلعل فيما كتبناه ، ذكرى لهم ولغيرهم ، والذكرى تنفع المؤمنين»

والحاصل :

أن السلام والمصافحة تكون عند القدوم، وحال الافتراق، ولو كان يسيرا، سواء كان في المسجد أو خارجه.

● انظر: القول المبين في أخطاء المصلين

حصة شهر ربيع الثاني لعام 1426 لطول وعرض مدينتي الرباط وسلا بتوقيت جرينويش

الأيام	ربيع الثاني 1426	ماي يونيو 2005	الصبح	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
			س : د	س : د	س : د	س : د	س : د	س : د
الثلاثاء	1	10	48:3	27:5	28:12	08:4	22:7	48:8
الأربعاء	2	11	46:3	26:5	28:12	08:4	22:7	49:8
الخميس	3	12	45:3	25:5	28:12	08:4	23:7	50:8
الجمعة	4	13	44:3	24:5	28:12	08:4	24:7	51:8
السبت	5	14	43:3	24:5	28:12	08:4	25:7	52:8
الأحد	6	15	42:3	23:5	28:12	08:4	26:7	53:8
الاثنين	7	16	41:3	22:5	28:12	08:4	26:7	54:8
الثلاثاء	8	17	40:3	22:5	28:12	08:4	27:7	55:8
الأربعاء	9	18	39:3	21:5	28:12	09:4	28:7	56:8
الخميس	10	19	38:3	20:5	28:12	09:4	28:7	57:8
الجمعة	11	20	37:3	20:5	28:12	09:4	29:7	58:8
السبت	12	21	36:3	19:5	28:12	09:4	30:7	59:8
الأحد	13	22	35:3	18:5	29:12	09:4	31:7	00:9
الاثنين	14	23	34:3	18:5	29:12	09:4	31:7	01:9
الثلاثاء	15	24	33:3	17:5	29:12	09:4	32:7	02:9
الأربعاء	16	25	32:3	17:5	29:12	09:4	33:7	03:9
الخميس	17	26	31:3	16:5	29:12	10:4	33:7	04:9
الجمعة	18	27	31:3	16:5	29:12	10:4	34:7	05:9
السبت	19	28	30:3	15:5	29:12	10:4	35:7	06:9
الأحد	20	29	29:3	15:5	29:12	10:4	35:7	07:9
الاثنين	21	30	29:3	15:5	29:12	10:4	36:7	08:9
الثلاثاء	22	31	28:3	14:5	30:12	10:4	37:7	08:9
الأربعاء	23	يونيو	27:3	14:5	30:12	10:4	37:7	09:9
الخميس	24	2	27:3	14:5	30:12	11:4	38:7	10:9
الجمعة	25	3	26:3	14:5	30:12	11:4	38:7	11:9
السبت	26	4	26:3	13:5	30:12	11:4	39:7	12:9
الأحد	27	5	25:3	13:5	30:12	11:4	39:7	12:9
الاثنين	28	6	25:3	13:5	31:12	11:4	40:7	13:9
الثلاثاء	29	7	25:3	13:5	31:12	12:4	41:7	14:9

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1116
السنة39
الجمعة 11 ربيع الثاني 1426 هـ
الموافق 20 ماي 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

الفقه الإسلامي خصائصه وأطواره ومنهج تجديده

إعداد الدكتور: محمد منصيف العسري

الحلقة الأولى

لقد عرف الفقه عند علماء الإسلام بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية.

ومن هذا التعريف يتضح أن موضوع الفقه الإسلامي هو أفعال المكلفين من حيث مطالبتهم بها شرعا، ومن ثم كان عمل الفقهاء يتلخص في البحث في الأدلة التفصيلية، مما جاء في القرآن والسنة وانعقد عليه الإجماع ودل عليه القياس وسائر الأدلة المعتمدة عند العلماء، ابتغاء الوصول إلى الأحكام الشرعية الجزئية المتعلقة بجواز فعل معين أو عدم جوازه، وصحة عقد معين أو فساده وغير ذلك.

وبهذا يتبين أن الفقه الإسلامي يتضمن الأحكام التي تعتبر بمثابة قوانين تضبط تصرفات المكلفين، على أنه يمتاز على القوانين الوضعية بعدة مزايا وخصائص على رأسها ارتباط هذا الفقه بالوحي الإلهي، ومن ثم كان نشوؤه وتكونه في بدايته متزامنا مع نزول الوحي في عهد الرسالة، ثم تطوير عبر العصور إلى ما آل إليه أمره فيما بعد من غلبة التقليد والجمود، مما دفع ببعض العلماء إلى الدعوة لتجديده ليتمكن من مسايرة الحياة وماتعرفه من تطورات.

وبناء على ما أشرنا إليه من أمر الفقه الإسلامي، فإننا سنتناول في هذا الموضوع بيان أهم خصائصه التي يمتاز بها، ثم نتبع ذلك بأبرز الأطوار التي مر منها هذاالفقه حتى صار في حاجة إلى التجديد، ومن ثم نسطر مانراه من ملاحظات منهجية من شأنها المساهمة في تحقيق ذلك التجديد المنشود.

1. الخصائص المميزة للفقه الإسلامي:

1.1 أساسه الوحي: فأول الخصائص والمميزات التي يمتاز بها الفقه الإسلامي عن غيره من القوانين الوضعية، هو أن أساسه ومصدره الوحي الإلهي الذي أوحاه الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام سواء من ذلك القرآن الكريم أو السنة النبوية، ومن ثم كان كل مجتهد مقيدا في استنباطه للأحكام الشرعية بنصوص هذين المصدرين وما يتفرع عنهما مباشرة، مع ما ترشد إليه روح الشريعة ومقاصدها العامة وقواعدها الكلية. كما أن هذا الفقه كان بذلك كامل النشأة منذ زمن الرسالة لإكتمال أصوله وقواعده في ذلك العهد، حيث لم يبق بعدئذ إلا الإجتهاد في تطبيقه حسب اختلاف الأزمنة والأمكنة، بما يضمن تحقيق المصالح الإنسانية التي ترمي إليها مقاصد الشريعة.

2.1 شموله لمتطلبات الحياة: ومن مستلزمات تلك الخاصية السابقة شمول الفقه الإسلامي لكل متطلبات الحياة، فهو فقه عام شامل مبين لحقوق وواجبات المجتمع الإسلامي، بل ويتجاوز ذلك إلى تنظيم علاقة الأمة الإسلامية بسائر الأمم، ومن ثم كمل بهذا الفقه نظام العالم، فهو مفخرة من مفاخر هذه الأمة حيث لم يكن مثله لأي أمة من الأمم الأخرى، وإذا أردنا توضيح جوانب هذا الشمول في فقهنا نجده يمتاز عن القوانين الوضعية بأنه يتناول علاقات الإنسان الثلاث: علاقته بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بمجتمعه، لأنه جاء لتنظيم أمور الدين والدنيا، ومن ثم فهو يشمل نوعين من الأحكام: أحدهما يتعلق بأحكام العبادات من طهارة وصلاة وصيام وزكاة وحج ونذر ويمين، ونحو ذلك مما يخص تنظيم علاقة المرء بربه، والنوع الثاني يتعلق بأحكام المعاملات من تصرفات وعقود وعقوبات على الجنايات، وغير ذلك مما يقصد به تنظيم علاقات الناس فيما بينهم.

3.1 اتصافه بالصفة الدينية: ويرتبط بالتنظيم الذي يتضمنه الفقه الإسلامي. المذكور في الخاصية السابقة. أن هذا الفقه يتصف بالصفة الدينية حلا وحرمة، ومن ثم فهو يفترق عن القوانين الوضعية في أن كل تصرف من تصرفات المعاملات في إطار أحكام هذا الفقه يتصف بكونه حلالا أو حراما، وينتج عن ذلك اتصاف أحكام المعاملات فيه بوصفين: أحدهما دنيوي يبنى على مايظهر من تصرفات الإنسان، ولا علاقة له بالنوايا والأمور المستترة الباطنية مادامت لم تظهر لها آثار جلية في الواقع، وهذا هو مايعرف بالحكم القضائي، لأن القاضي إنما يحكم بناء على وسائل الإثبات المتوفرة لديه. وأما الوصف الثاني فهو يتعلق بالحكم الأخروي الذي يبنى على حقيقة الأمر في الواقع ولو كان خفيا عن الناس، لأنه حكم يعتبر فيما بين الإنسان وخالقه سبحانه، وهو مايطلق عليه الحكم الديانى. ولما كانت أحكام الفقه الإسلامي تراعي كلا من الاعتبار القضائي والإعتبار الديانى، فقد أضفى ذلك هيبة واحتراما على الأحكام والأنظمة الشرعية، لما تقوم عليه من وازع ديني داخلي، بالإضافة إلى النظرة المادية التي تلاحظها القوانين الوضعية.

4.1 ارتباطه بالأخلاق: ومما يتفرع عن الخاصية الأخيرة أن الفقه الإسلامي يرتبط بالأخلاق ويتأثر بقواعدها، وهو بذلك يختلف عن القوانين الوضعية التي ترمي إلى مجرد حفظ نظام المجتمع واستقراره، ولو كان ذلك مؤديا إلى إهدار بعض المبادئ الأخلاقية الثابتة والمثل الدينية العليا. أما الفقه الإسلامي فإنه يحرص على رعاية الفضيلة فيجمع إلى جانب التعامل المادي وضبط صحته جانب الدين والخلق أيضا، في سبيل تحقيق الصلاح والخير المنشود للفرد والجماعة معا في الحال والمآل، ومن نتائج ذلك أن هذا الفقه أكثر امتثالا من طرف الناس وأشد احتراما في نفوسهم، بخلاف تلك القوانين الوضعية التي كثيرا مايتحايل الناس عليها بمختلف الوسائل للإفلات منها، نظرا لإغفالها جانب العبادة والأخلاق والآداب النفسية.

5.1 الجزاء فيه دنيوي وأخروي: ويتصل اتصالا وثيقا بالخاصية الأخيرة والتي قبلها أن الجزاء على المخالفات في الفقه الإسلامي يكون دنيويا وأخرويا، فبينما تكتفي القوانين الوضعية بتقرير جزاء دنيوي مناسب حسب كل مخالفة، نجد أن فقهنا يقرر نوعين من الجزاء على المخالفات: أحدهما جزاء دنيوي وهو يشمل العقوبات المقدرة وغير المقدرة التي تتلاءم مع مايصدر عن الناس من تصرفات ظاهرة مخالفة لأحكام الشرع. والنوع الثاني يتعلق بجزاء أخروي على الأعمال والتصرفات الباطنة مما لايطلع عليه الناس، وكذا التصرفات الظاهرة التي لم تتم المعاقبة عليها في الحياة الدنيا بسبب التحايل والتدليس ونحو ذلك. ويضاف إلى ماذكرنا أن الجزاء في فقهنا يشمل الثواب على امتثال الأوامر وعلى اجتناب النواهي بموازاة مع ما فيه من عقاب مقرر على المخالفات، بينما يقتصر الأمر في القوانين الوضعية على جانب العقاب على مايرتكبه المرء من مخالفات دون إثابته على امتثاله للأوامر واجتنابه للنواهي.

6.1 صلاحيته للتطبيق الدائم: وبالإضافة إلى ماسبق فإن من أهم خصائص الفقه الإسلامي هو صلاحيته للتطبيق الدائم، ذلك أنه مبني على أساس العدل ومراعاة الحقوق والواجبات الخاصة والعامة، واحترام مصالح الفرد والمجتمع معا مع تقديم مصالح هذا الأخير إذا تعارضت مصالح الجانبين، كما أنه يتيح فرصة التغيير في كثير من أحكامه بناء على تغير الأحوال والأعراف وظروف الزمان والمكان، علما بأن في هذا الفقه جملة من المبادئ التي لاتقبل التغيير، كما هو الشأن في حماية الحقوق والإلزام بالواجبات وضمان الضرر والتراضي في إبرام العقود وغير ذلك، مع ملاحظة أن الأحكام التي تقبل التغيير إنما تقتصر على دائرة المعاملات ونحوها.

7.1 مرونته: وأخيرا، فإن من لوازم هذه الخاصية السابقة أن يكون الفقه الإسلامي مرنا في أحكامه وقواعده، وبيان ذلك أن هذا الفقه مرتبط أشد الإرتباط بواقع الناس وحياتهم العملية، ومن ثم فهو يتطلب مرونة كبيرة في تطبيق قواعده وتقرير أحكامه ليستطيع مواكبة مستجدات الحياة وتطوارتها المستمرة، وليتمكن من الإحاطة بالجزئيات والنوازل التي لايمكن حصرها أو إحصاؤها، وهي في الغالب محتاجة إلى قدر كبير من التسديد والمقاربة في سبيل تنزيل أحكام الشرع على تلك الوقائع بما يكفل تحقيق المصالح التي تتغياها المقاصد العامة للشريعة، ولاريب أن تلك المقاربة تعتمد في الغالب على العمل بالظن الراجح، وهو من الأمور المقررة والمعتمدة في الإجتهاد الفقهي.

كتاب صدر

صدر العدد 23 من مجلة الإحياء ضامة لدراسات علمية قيمة منها:

❖ العقل في القرآن والحديث وعند الحكماء وفي الأدب

❖ الشروط المقترنة بعقد النكاح مايلزم ومالايلزم

❖ الجريمة والعقوبة في ضوء الشريعة والقانون

❖ مفهوم الإصلاح عندالشيخ ابن يجبش التازي